

## في محفل العلم

بقلم : الحبيب الدريدي

إِنْ خَيْرَ مَنَّةٍ وَهَبَهَا هَذَا الْبَلَدُ الطَّيِّبُ الْأَمِينُ تَتَابِعُ مَوَاسِمَ الثَّقَافَةِ فِي كُلِّ نَوَاحِيهِ وَتَتَالِي مَحَافِلُ الْفِكْرِ وَالْفَنِّ فِي جَمِيعِ أَرْجَائِهِ ، فَلَا تَكَادُ الْحَيَاةُ التُّونِسِيَّةُ تَخْلُو فِي أَيِّ طَوْرِ مِنْ أَطْوَارِهَا مِنْ جَلِيلِ الْحَوَادِثِ وَعَظِيمِ الْوَقَائِعِ الَّتِي يُحْتَفَى فِيهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَتَرْكُو خِلَالَهَا حَرَكَةَ الْإِبْدَاعِ وَالْخَلْقِ . فَمَا كَانَتْ تَقْفِرُ مَسَارِجَ الصَّيْفِ وَتَنْوِي مَسَارِجُهَا وَتَخْبُو أَنْوَارُهَا حَتَّى أَثْرَعَتْ مَحَافِلُ الْعِلْمِ وَدَبَّ نَسْغُ الْحَيَاةِ فِي سَاحَاتِهَا وَفُصُولِهَا وَانْقَطَعَ الْمَلَابُّ إِلَى الدَّرْسِ وَالتَّخْصِيلِ وَالْمُدْرَسُونَ إِلَى الْبَحْثِ وَالتَّنْوِيرِ .

\* \* \*

وَلَعَلَّكَ - أَيُّهَا الْقَارِءُ - تَقِفُ مُسْتَفْسِرًا مُسْتَطْلَعًا : وَمَا حَظُّ « الْإِتْحَافِ » مِنَ الْإِسْهَامِ فِي مَحْفَلِ الْعِلْمِ وَمَا مَتَّبِعُومَا مِنْ حَرَكَةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعَقْلِ ؟ وَمَا وَجْهُ الصَّلَةِ الَّتِي تَتَعَقَّدُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدْرَسَةِ التُّونِسِيَّةِ ؟

\* \* \*

لَا - أَيُّهَا الْقَارِءُ - أَنْ تَسْأَلَ ، وَلَنَا أَنْ نُجِيبَ فَتَقُولُ : لَقَدْ أَخَذَتْ « الْإِتْحَافِ » ، عَلَى نَفْسِهَا - وَهِيَ فِي الْمَهْدِ غَضَّةُ الْإِهَابِ طَرِيَّةٌ - عَهْدًا لَا يَنْكُثُ وَمِيثَاقًا غَلِيظًا لَا يَنْقُصُ بِأَنْ تَكُونَ الْمَدْرَسَةُ التُّونِسِيَّةُ عَوْنًا وَسَدَادًا تُسْعِدُهَا عَلَى

التَّهْوِضَ بِأَعْبَاءِ رِسَالَتِهَا وَتَرْفِدُهَا بِمَا جَادَتْ بِهِ أَقْلَامُ  
كُتَّابِهَا ، فَتَصْدُتُ لِلْبَرَامِجِ الدَّرَاسِيَّةِ تَطِيلُ فِيهَا الْبَحْثُ وَالْمَسَائِلُ  
التَّرْبِيويَّةُ تُعْمِنُ فِيهَا النَّظَرُ . وَأَسْنَأُ نَقُولُ بِدَعَا إِذَا رَعَمْنَا أَنْ  
بَيْنَ « الإِتْحَافِ » وَالْمُؤَسَّسَةِ التَّرْبِيويَّةِ مِنَ الْوَشَائِجِ  
وَالْأَوَاصِرِ مَا لَا يَنْقَطِعُ أَوْ يَنْحَلُ ، فَالْجَانِبُ الْأَعْظَمُ مِنْ  
كِتَابِ الْمَجَلَّةِ وَمُحَرَّرِيهَا هُمْ فِي الْآنِ نَفْسِهِ أَهْلُ تَرْبِيَةٍ وَتَعْلِيمٍ  
يَقْتَلُونَ مَنَاصِبَ التَّدْرِيسِ فِي الْمَعَاهِدِ وَالْجَامِعَاتِ ،  
وَالْقِسْطُ الْأَوْفَرُ مِنْ مَوَادِّ الْمَجَلَّةِ هُوَ مَنْهَلُ سَائِغِ  
لِطَلَّابِ الْعِلْمِ وَنَاشِدِي الْمَعْرِفَةِ .

\* \* \*

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الإِتْحَافَ نَفْسَهَا تُعَدُّ وَاحِدَةً مِنَ الْمَدَارِسِ  
التُّونِسِيَّةِ الْعَتِيدَةِ ، وَلَعَلَّهَا تَفْضُلُ هَذِهِ الْمَدَارِسِ بِوَفَرَةِ  
مُرْتَدِيهَا وَسَعَةِ عَيْدِ النَّاهِلِينَ مِنْ نَبْعِهَا وَالْمُفْتَخِرِينَ مِنْ  
وَرْدِهَا ، فَفِيهَا تَكُونُتُ أَجْيَالٌ مِنَ الْمُبْدِعِينَ وَالنُّقَّادِ  
وَالدَّارِسِينَ وَمِنْهَا تَخْرُجُتُ أَفْوَاجٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَكُتَّابِ  
الْقِصَّةِ وَالْبَاحِثِينَ .

\* \* \*

إِنَّ « الإِتْحَافَ » مَشْرُوعٌ ثَقَافِيٌّ طَامِحٌ - مَا فِي ذَلِكَ شَكٌّ  
- وَلَكِنَّهَا أَيْضًا قَلْعَةٌ لِلْعِلْمِ مَنِيْعَةٌ وَصِرْحٌ لِلْمَعْرِفَةِ مَهِيْبٌ ،  
فِيهَا تَنْتَسِبُ إِلَى الثَّقَافَةِ انْتِسَابُهَا إِلَى الْعِلْمِ وَتَحْتَفِي  
بِرَهَافَةِ الْحِسِّ وَدِقَّةِ الشُّعُورِ احْتِفَافًا بِخَلْجَةِ الشَّكِّ وَأَمْحَةِ  
الْفِكْرِ . وَمَا يَدْرِيكَ ، لَعَلَّ ذَلِكَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ ثَبَاتِ أَصْلِهَا  
فِي الْأَرْضِ وَسُمُوقِ فَرْعِهَا إِلَى السَّمَاءِ .

# المحبة في القرآن

## محاولة حفر الأسس لمعرفة مكونات الذات

### الإهداء : إلى روح الأستاذ الجليل سعد غراب

بقلم : الضاوي خوالدية

#### مدخل :

إنّ متفحص بعض الكتابات الجادة ( عبد المجيد الشرفي ، محمد أركون ، سعد غراب ، محمد عابد الجابري ، محمد الطالبي ... ) لواجد تركيزاً متائياً جريئاً على مواضيع « حساسة » طرقها والغوص فيها يدلّان على قدرة « العقل العربي » في نهاية هذا القرن على تجاوز وصف أعراض المرض إلى معرفة المرض ذاته الذي هو ليس غير عقد الخوف من التشريح « العقلي » لبعض مكوناتنا المعتبرة مقدّسات أو مناطق محرّمة وأطنها يعدّ زنديقا ، مهذورا ، مجفّفاً للينابيع ، خطير وجوده ، أمّا الحقيقة فهي أنّ هذا الإقتحام العقلي يعدّ جلواً للمقدس وتفجيراً لطبقات العفونة التي لفتت عبر القرون . في هذا المجال رأينا أن نثير موضوع « المحبة في القرآن » ( 1 ) الذي لم يدرس - حسب علمنا - إلى حدّ الآن على ما في درسه من مواجهة حقائق مواجهة تسهم في إزالة الورم فيتجدّد الوعي بالتاريخ والحضارة ، ولعلّ قرأنا الكريم مصوّرنا مكوناتنا ( 2 ) لم يلق من البحث العلمي ما لقيته التوراة والإنجيل ، فبداية اعتنائنا به تسليم الإعتناء دليل على بلوغنا مرحلة وعي عرفنا فيها أنّ انهيارنا وهزائمنا وتخلّفنا كامنة فينا وليست مورّدة هذا الوعي المتأخّر قد حتمّ علينا الحفر في أعماق مكونات الذات لنرى أنفسنا على حقيقتها ، نعني هنا الحيز المخصّص « للمحبة » في تكويننا .

إنّ الأمة التي فقدت المحبة أو التي لم ترعها تخور قواها وتفقد مناعتها فتصاب بأمراض قد تؤدّي بحياتها أو تعيش هواناً متّصلاً .

أنحن أمة حبّ ؟

## 1- مدلول المحبة :

لعلّ أفضل معجم يمكن الرجوع إليه لتحديد هذا « المدلول » : لسان العرب لابن منظور ( توفي 711 هـ ) غير أنّ تحديده لمادة ( حبيب ) ( 3 ) كان بسيطاً سطحياً وليس السبب عجز المؤلف بل قلة ذكر هذا المفهوم في مصادرنا التأسيسية وضيق مجاله الأدلالي ( 4 ) لا يعني في هذا المضمار شغل العربي بالنساء الذي أنّت به كتب قدمائنا ومحدثينا .

يقول ابن منظور :

- الحبّ : نقيض البغض / الوداد

- الحباب : المحابة والمودة والحب

- تحبّب إليه : تودّد ، وامرأة محبة لزوجها

- الحبيب يجيء تارة بمعنى المحبّ وتارة بمعنى المحبوب ذاكرا بيتين في هذا

المعنى .

- حبّ رسول الله : زيد بن حارثة

- حبة رسول الله : عائشة زوجته

- المحبوبة : المدينة ( مدينة رسول الله )

فالتحديد - إضافة إلى ما قلناه أعلاه - لم يكن دقيقاً مستوفياً هذا الموضوع الخطير الذي كان حجر الزاوية في الأناجيل وتراث معتنقيها ( 5 ) ناهيك أن القارئ لا يجد أكثر من تعميم : « الحب ضدّ البغض » أو تخصيص : تحبّب إليه : تودّد ، أمّا أن نجد الحبّ الإجتماعي الباني المثمر المساوي فلا وليس كلامنا هذا نقداً لابن منظور لأنّ من المستحيل أن يذكر ما هو غير موجود كما جاء في المثل : « بيتي يبخل لا أنا »

## 2- المحبة في القرآن :

إنّ القرآن كتاب سماويّ تضمن - كما أشير في الهامش 4 - وصفاً دقيقاً للواقع وعبادات وتشريعات وقيماً نزلت على الرسول العربيّ محمد المأمور بأن يصلح بها قومه فغيرهم وما دام متلقو الرسالة الأوائل عرباً ، فإنّ القرآن الذي جاء بلغتهم قد صوّره أعمق تصوير إجتماعياً دينياً سياسياً ثقافياً ( 6 ) رأينا في هذه المحاولة

، أن نتناول بالدّرس قيمة المحبة لدى العرب كما كشف عنها القرآن الكريم بادئين بتتبّع تكرار ألفاظها غير مبالين بمتراذفاتنا .

لقد وردت لفظة الحبّ ومشتقاتها في 31 سورة من 114 سورة وتكررت 81 مرة في سياقات مختلفة ( 7 ) يمكن محورها كالآتي :

1 - حبّ منفيّ ( إنّ الله لا يحبّ ... ) 26 مرة تقريبا

2 - حبّ عمودي :

أ - من الله إلى الإنسان : 21 مرة باستثناء الحب المنفي

ب - من الإنسان إلى الله : 5 مرات ( بعضها مسبوق بأداة شرط إن )

3 ( حبّ أفقي :

أ - من الإنسان إلى الإنسان 5 مرات

ب - من الرّسول إلى الناس 01 مرة واحدة

ج - من الإنسان إلى شيء ( الدّنيا ) 23 مرة ( حبّ طبيعي يتطلّب به المحبّ

إرضاء نفسه )

ARCHIVE

ما يمكن استنتاجه : أنّ الحبّ في القرآن عمودي من أعلى ( الله ) إلى أسفل ( الإنسان ) وهذا دليل

على حبّ الله عباده ( خلفاء في الأرض : >> وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

الصّالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ... >> ( 8 ) )

لكن هذا الحبّ لا يجد تجاوبا صريحا لدى الإنسان العربي لعلّ الآية التالية

المشروطة توضّحه : >> قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم

ذنوبكم والله غفور رحيم >> ( 9 ) توضيح الآية الأخرى تهديد الله غير الثابتين على

إيمانهم من العرب باستبدالهم بقوم يتوفّر على قيم اجتماعية نضالية غيرية بناء :

>> ... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ... >> ( 10 )

أمّا الحبّ الأفقي الذي هو سبيل التماسك الاجتماعي والبناء الحضاري والمدنيّة

الإنسانية فيكاد يكون مفقودا إذ حب الإنسان للإنسان ( في القرآن ) لا يتجاوز 5

مرات وحبّ الرّسول الناس مرة واحدة ، ولعلّ أنانية العربي وفرديته تبرزان من

خلال القرآن في حبه الدنيا ( 23 مرة ) .

أيمكن أن نقول إن مواد بناء الذات العربية ليست مدنية غلبت عليها الفردية المنغمسة في المادية المعزولة عن الروح ( الله ) المجرد ( القيم العليا ) ؟  
إن كان فقرنا مدقعا إلى هذا الحد فكيف استطعنا أن ننطلق إنطلاقتنا الحضارية المعروفة في القرون الثلاثة الأولى ؟

إن الإنطلاقة العربية الإسلامية المومأ إليها قد تكون نتاجا لعوامل لعل أبرزها أن الإسلام كان أداة إنقاذ لقوم أشرفوا على الإنهيار بفعل أمراضهم الداخلية وشراسة أعدائهم الخارجيين مما خلق لديهم شعورا جماعيا بالبحث عن منقذ فكان الإسلام الذي وحد القبائل وصالح العرب مع أنفسهم وفتح الآفاق ورسم أهدافا وباختصار قد حملهم رسالة ، لكن المهم بالنسبة إلى موضوعنا أن روح التحول العربي كان الحب الذي على نثره قد فعل « بعمق » في الذات العربية ( مؤقتا ) التي تجاوزت مع الحب الإلهي تجاوبا جعله ( الحب ) يفيض على المجتمع والدنيا فكانت المصالحة مع الذات والله والطبيعة وكان الخلق والإبداع لكن هذا الفيض لم يدم إذ سرعان ما جف فتخشبت العلاقة مع الله والإنسان والطبيعة ثم انقطعت ولم يبق منها إلا جنين لوئنته يتضخيم حضارات أخرى ( المسيحية ، البراهمية ، البوذية ... ) حتى كاد يفقد مرجعه الأول ولم يكن هذا الحنين الضائع بارزا في غير التصوف « الإسلامي » ( 11 ) الذي جعل أصحابه مدار نشاطهم المحبة الخواء التي لا هي إسلامية حية ولا مسيحية أو هندية فاعلة .

### 3- المحبة بين الإنجيل والقرآن

إن كنا لسنا مؤهلين للمقارنة العلمية بين مفهومين أساسيين وردا في دينين مختلفين فإننا نود أن نلاحظ فقط والأمر يحتاج إلى تعليل أن المحبة في الإنجيل روح الديانة المسيحية وهذه أمثلة : « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة ، ومن لا يحب أخاه ، يبقى في الموت ، كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ... ( نحن ) لا نحب بالكلام ... بل بالعمل والحق ... أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة ... إن قال أحد إنني أحب الله

وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب  
الله الذي لم يبصره ( 12 )

« ... أحبوا أعداءكم ... أحسنوا إلى مبغضيكم ... لأنكم إن أحببتم الذين  
يحبونكم فأني فضل لكم ؟ ... فإنَّ الخطاة أيضا يحبون الذين يحبونهم ... »  
( 13 )

إنَّ المحبة في الآيات الانجيلية السابقة فيض عمَّ السماء والأرض : حبَّ الله هو  
حب الإنسان وحب الإنسان هو حبَّ الله . لذلك نرى رجال الدين المسيحي  
يجسئون غالبا حبَّ الله في خدمة عباده وأوطانهم ولعل نشاط الأخوات والآباء  
خير مثال أما رجال ديننا - على تقديرنا للتيرين منهم قديما وحديثا - فهم رموز  
تقليد وعطالة وخور واتكال وتكفير واستبداد ...

أما المحبة في القرآن فكانت :

- تجريدية عمودية

« ... إن الله يحبَّ المحسنين » البقرة 195

« ... ويحبَّ المتطهرين » البقرة 222

« ... والله يحبَّ المحسنين » آل عمران 134

« ... إنَّ الله يحبَّ المتوكلين » آل عمران 159

- مادية أفقية :

« ... وتحبُّون المال حباً جماً » الفجر 20

« ... إنَّ هؤلاء يحبُّون العاجلة » : الإنسان 27

« ... ذلك بأنهم استحبُّوا الحياة الدُّنيا على الآخرة » النحل 107

« ... وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً

« يوسف 30

- منفعية وعيدية :

« ... إنَّ الله لا يحبَّ الخائنين » الأنفال 58

« ... إنَّه لا يحبُّ المعتدين » الأعراف 55

« ... إنَّ الله لا يحبُّ المفسدين » القصص 77

« ... والله لا يحب كل مختال فخور » الحديد 23

هزت بعض العرب في البداية فأبدعوا ثم سرعان ما خف التأثير واكفهر الواقع وساد الإستبداد ( 14 ) فكان الحب الصوفي الذي من سماته ترك الدنيا والتعلق بالله ظاهرا ( المقامات والأحوال ... ) والإختبال : قول الحلاج ( توفي 309 هـ ) : « أنا الحق » ( 15 ) وقول الجنيد ( توفي 297 هـ ) : « سبحاني » ( 16 ) والشنوذ والجهل ( 17 ) والخيانة « الوطنية » موقف كل من الغزالي ( توفي 505 هـ ) وابن الفارض ( توفي 632 هـ ) وابن عربي ( توفي 638 هـ ) من الغزو الصليبي ( 18 ) .

إن حبنا الله الذي كان تفجير طاقات وقوة بناء وغيرية وشجاعة فائقة قد انقلب بسرعة إلى انعزال وطمع واختلال وتجارة فكانت الشروخ الإجتماعية والإستبداد والأحقاد فالمهانة التي يعيشها العرب المسلمون فكيف السبيل إلى إعادة ماء المحبة الصافي إلى جسمنا المتخشب ؟ ألا تكون التربية القائمة على ركيزتين : الأولى تجذير عقلية نقد مكونات الذات العربية ( الإسلامية ) دون تعجيد أو انبئات والثانية ترسيخ قيم الحداثة السبيل الوحيدة لفناء إنسان عربي ( مسلم ) جديد فاعل في عصره بالعقل والحب ؟

<http://Archivebeta.Sakila.com>

#### المراجع والهوامش :

- 1 - إن مقالنا إلمامة بهذا الموضوع الخطير ودعوة ملحة إلى النقاش الرصين .
- 2 - عروية الإسلام وعالميته ، شبلي العيسوي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الثالثة آب : 1985 ، صص : 56 - 69
- 3 - لسان العرب م 1 ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت ( د . ت ) صص 544 - 545 .
- 4 - ليس رأينا هذا نقدا للمصادر التأسيسية وإنما إثارة قضية قابلة للنقاش مفادها :  
1 - أن القرآن قد صور واقع العرب أعمق تصوير بنية ذهنية وعلاقات وهموما اجتماعية وبيئية ( عروية الإسلام وعالميته صص 56 - 69 ) ثم حُدَّ سبل التحول  
ب - أن السنة ( أقوال النبي وأفعاله ) فسرت القرآن مرسخة تعاليمه راسمة من خلال الرسول المسلم النموذج مولية بعض القيم المهمة التي نبّه القرآن إلى مركزيتها في حياة المسلمين وأخترتهم عناية خاصة كالمحبة التي جعلها النبي قوام نضاله وشرط إيمان أتباعه : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » ( حديث )



- 5 - مع المسيح في الأناجيل الأربعة ، فتحي عثمان ، الطبعة الثانية ، الدار القومية للطباعة والنشر ( د - ت )
- 6 - عروبة الإسلام وعالميته صص 56 - 69
- 7 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة 1986 صص : 191 - 193 .
- 8 - النور ، آية 55
- 9 - آل عمران ، آية 31
- 10 - المائدة ، آية 54
- 11 - لقد اختلفت الآراء حول إسلامية التصوف : انظر في هذا المجال « الهلال » ، ماي 1992 : مقال السيد رزق الطويل : « الطرق الصوفية في مصر » صص 8 - 22 والتصوف في الإسلام عمر فروخ ، دار الكتاب العربي بيروت 1981 ، صص 29 - 8
- 12 - يوحنا : 3 : 14 - 18 ، 4 : 7 - 21
- 13 - مت : 5 : 1 - 12 ، 43 - 48 ، لو : 6 : 29 - 36
- 14 - « الهلال » ، ماي 1992 ص 13
- 15 - التصوف في الإسلام ص 68
- 16 - المرجع نفسه ص 51
- 17 - مجلة الهلال ، ماي 1992 ص 21
- 18 - التصوف في الإسلام صص 9 - 12



# النصوص الأدبية ودورها في نشر التسامح وتقارب الشعوب

بقلم : الأزهر النّفطي

« إن من ناقله القول اليوم بأن نزاهة الفكر لوعي المثقفين هي التي تعزز لديهم جميعا الشعور بالمسؤولية المدنية تجاه المجتمع الذي ينتمون إليه فهم المعبرون عن مشاغل ذلك المجتمع وعن مشاكله وهم حماة قيمه الروحية والحضارية والوطنية وهم درعه الواقعي من مختلف التحديات التي تواجهه بالتصدي بوعي وثبات للانغلاق الفكري والتطرف والإرهاب والوفاء الدائم للمصلحة الوطنية ولقيم الاخاء والتسامح والاعتدال التي ميزت هذا الشعب طوال تاريخه المجيد » .

- الرئيس زين العابدين بن علي -

قرطاج 27 جانفي 1992

حددنا النقاط الرئيسية لهذا العمل منهجيا في محورين أساسيين :

أ - النصوص الأدبية أداة تأثير فاعلة في نشر التسامح وتقارب الشعوب .

ب - موقع النصوص الأدبية بين جدلية التعبير ومناهج التنظير .

1. النصوص الأدبية أداة تأثير فاعلة في نشر التسامح وتقارب الشعوب :

تتوالج النصوص الأدبية وتتواشج في ممارساتها وتجلياتها لتكون حقولها الدلالية المنتجة الخصيبة مشحونة بنفاذ بصيرة كتابها ورؤاهم الكونية مما أهلها لتكون مرجعية سائر الأمم والشعوب وكذلك الرباط المقدس بينها . فتحقق بذلك لكتابها سعة الانتشار وتساعدهم على تجاوز مراحل الفراغ والمحاكاة والتماثل والتقوقع وتدفعهم إلى النفاذ بالكوان الكتابة الأدبية التي ينجزونها إلى عمق قضايا الإنسان الكبرى التي تنهض أساسا على إرادة الحياة والحرية والمسؤولية والمساواة والتسامح والوفاء الدائم ، لا على القيم الروحية والحضارية وتجاوز مأزق الانغلاق والتطرف والجلوس على الربوة لولوج موقع الحوار مع الآخر في مفاهيم تنقد ثورة وتمردا وطموحا وتناظرا ورقضا للمألوف السائد فتنتفتح بذلك الكتابة على من

حولها ويترك النصوص الأدبية أثر كتابها في الملتقى ويتحول إلى ذاكرة جماعية للمجتمعات والشعوب :

مازالت أحس دوركبه	ألقي عليه من المحبة والإخاء ضللا
هيا أخي وامد يدك تعاضدا	واهتف معي بين الورى جوالا
باسم الجماهير التي في عزمها	تدوي الحياة فتخلق الأبطال
وتشيع في الناس العدالة والإخاء	وتعلم التاريخ والأجيال
باسم الذين توحدوا وتظافروا	وتقدموا ليغيروا الأحوال(1)

هذه النصوص الأدبية تختزل بطرحها مرتكزات ملامحها الشعرية والقصصية والروائية والمسرحية أعلى القيم الكونية الخالدة التي تنهض أساسا على الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان لأن الإنسان قبل كل شيء يبقى ذلك الحالم بالجمال والخير والعدل والتسامح والتفتح على الآخر كما تبحث هذه النصوص الأدبية في سياقاتها عن ماهية الفعل الإبداعي المنجز مع تجارب تكتب بلغة يئس نحبها داخل العلاقات الإنسانية المعتادة . حسب عبارة رولان بارت باعتبارها مرآة عاكسة لمواطن الضعف والقوة في مجتمعاتها وأيضا أداة فاعلة لنشر ثوابت القيم الروحية والحضارية والوطنية وقيم الإخاء والتسامح والوفاء الدائم والمصالحة والاعتدال والعدالة بين شعوبها وحتى على مستوى قراعتها وتحليلها برصانة وتسامح وتفاعل . يرى الأديب الفرنسي المعروف "روني شار" في كتابه أوراق هيبنوس ص 137 «إن هناك قراءة تعتمد القبض واليقظة والدقة والتركيب وانضباط البصر : ( منحى انضمامي انغلاقي) وهناك قراءة تعتمد العطاء والانبساط والسماحة ورحابة التقبل : ( منحى انفتاحي ) .

ويقول الأستاذ المنجي الشملي في كتابه الثقافة التونسية الصادر عن دار الغرب الإسلامي ببيروت 1985 : « إن المنحى الأصلي للوجود هو الحب لأنني إذا نظرت إلى غيري نظري إلى شيء جامد فمعنى ذلك أنني أعتبره إنسانا غائبا أو قسبة جوفاء أو صدف فارغة بل قل أيضا آلة أستعملها حسب أهوائي وأغراضني . وإذا نظرت إليه نظري إلى إنسان فاعل فمعنى ذلك أنني أعترف له بالحياة والقدرة الفعالة والإرادة الخلاقة والنفس الزكية . إنني لا أعترف بكل ماله من قيمة فحسب

بل أثبت أن له كرامة وأني مدين له بالاحترام ومعنى هذا بالذات أنني أحبه والحب إثبات لوجوده وإثبات لما للحياة من قيمة عظيمة >> (2)

فالطبيعة تمتعت الفراغ والفكر لا يعرف التوقف والجمود ولكي تنهض النصوص الأدبية بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتق كتابها ويدورها الريادي في التأثير الفاعل ونشر أعلى القيم الكونية الخالدة وإبلاغ رسالتها الأدبية النبيلة وجد الكتاب ضالته في المجالات الثقافية الجامعة لنشرها واتخذوا من هذه المجالات جسورا للتواصل والإنبعاث الثقافي وهمزة وصل خيرة بين الثقافات الإنسانية . وقد تعاقب على هذه المجالات الثقافية الجامعة كتاب عديون مشرقا ومغربا نذكر من بينهم : الشابي والحليوي والبشروش وزين العابدين السنوسي والصادق مازيغ والدوعاجي والمسعودي والزمري وياكير والسويسسي ومصطفى خريف والبشير خريف ومنور صمادح وأحمد المختار الوزير والعروسي المطوي وعز الدين المدني والطاهر البكري والحبيب السالمي من تونس ... وعبد القادر الجزائري وعبد الحميد بن هونقة ومحمد الأخضر السانحي وعبد الحميد بن باديس ورشيد بوجدره والطاهر وطار ومحمد الذيب ومولود فرعون ومالك حداد وكاتب ياسين والجندي خليفة وأحلام مستغانم من الجزائر ... ومحمد زفزاف ومحمد مفتاح وعبد الحميد العقار ومحمد بنيس وعبد الكريم غلاب عبد الكريم الخطيبي والطاهر بن جلون ومحمد العزيز الحبابي ومليكة العاصمي من المغرب الأقصى ... فضلا عن منجزات الكتاب المشاركة ومنهم نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل للأدب .

من بين هذه المجالات الثقافية الجامعة التي ظلت على مدى سنوات طويلة منبرا للكتابة والعزف على آلة الإبداع تحتضن الكتاب بوقاء وتسامح وتشجعهم على النشر والإبداع نذكر مجلة الإتحاف التي احتفلت بعشريتها يومي 15 و 16 جويلية 1995 ضمن النورة التاسعة لملتقاها السنوي بحضور جمع غفير من كتابها وأصدقائها وقد برهنت هذه المجلة خلال عشر سنوات من صدورهما وحضورها على الساحة الثقافية على أنها مؤهلة لتكون مساحة لحرية الإبداع ونشر الكلمة الهادفة يجد الكاتب في رحابها ومن أسرة تحريرها الفكر الرصين المتسامح والاهتمام المتواصل باحتضان نصوص المبدعين .

لذا كان لزاما علي  
ان أعدل القبلة باتساع الضوء  
وكان لزاما علي أن أحمل وزك  
وان تكوني أنت وحدك  
لا سواك

خطيئتي غير القابلة للمغفرة  
فمن سلطك علي  
ايتها الحرّة  
الحرّة ؟

مطر ... ؟  
سال الرّمل : من سماك المطر ؟  
قلت :

كان امرؤ القيس يبيت من الشعر  
يشعل أجمل النساء  
وكان عروة بن الورد يصنع من الشعر  
أرغفة للفقراء  
  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وكان المتنبي بقصيدة واحدة  
يراود الشمس فتسقط في كفه  
وكان السياب يكشف جوع العراق  
ويفترض موسيقى المطر . (3)

فما هو موقع النصوص الأدبية بين نافذة القول ومناهج التنظير ؟  
- وهل من الضروري أن نلتزم بكتابة معينة على علاقة بنشر قيم الوفاء والإخاء  
والتسامح والحرية والعدالة لانجاز نص إبداعي ؟  
- وهل وجد المسلمون الأوائل الذين بنوا حضارتهم الخالدة حرجا في استعانتهم  
بموروث الغرب الأوروبي ؟

– وما الذي يحدث لقيمنا حينما نفهم قيم الآخر ؟  
– وهل نخشى على النصوص الأدبية الخروج من دائرة الوعد المنشود إلى سبيل الوعظ والإرشاد فتتفقد بذلك فحوى رسالتها وتوهج أفكار كتابها ؟

إن جوهر إجابتنا على هذه الأسئلة المركزية المحرقة هو أن الأدب ينهض على تحقيق التواصل وتقارب الشعوب، إذ بإمكانه أن يحقق للإنسانية ما عجزت على تحقيقه الطروحات السياسية والعقلية والعلمية والتقنية باعتبار الأدب مجالا فسيحا فيه أكثر حرية وأكثر تسامحا وأكثر انفتاحا وقصص الحب الطريفة التي تنشأ بين أشخاص ينتمون إلى ثقافات إنسانية مختلفة وكذلك مغامرة الترجمة باعتبارها انفتاحا على الآخر نموذجا في نظرنا للوفاء والتسامح وتقارب الشعوب .

يقول الأديب العالمي المعروف « بول ريكور »:

« أن أكون غيري في نفس الوقت الذي أبقى فيه أنا نفسي

فما الذي يحدث لقيمي حينما أفهم قيم الآخر ؟

إن الثقافة الحية الوفية لأصولها وتلك التي تكون في نفس الوقت في حالة الإبداع على الصعيد الفن والأدب والفلسفة والعطاء الروحي هي وهما القادرة على تحمل ملاقة الثقافات الأخرى وعلى اكتساب معنى لهذه الملاقاة »

**(2) موقع النصوص الأدبية بين جدلية التعبير ومناهج التحضير :**

« الثقافة موقف إجتماعي من الواقع نابع من تغيير الواقع تغييرا جذليا ، هي ليست نظرة عقلية مجردة ولا فلسفة منفصلة عن الزمان والمكان إنما هي شهادة يؤديها الإنسان ونداء يترجم عنه الإنسان في مرحلة تاريخية للراقي بالإنسان إلى منزلة أفضل » (4)

هكذا ندرك أن الفكر لا يمكنه أن يعيش منعزلا عن الواقع وكذلك لا يمكنه أن يحيى بعيدا عن الثقافات المحيطة به. والحوار في هذا السياق ضرورة حتمية للتواصل وتقارب الشعوب وهو لا يعني الصراع والتضاد والتباعد إنما يعني التقارب والتجاوز والتوازي بالمعاصرة والاشترك في خلق الحداثة والمصير .

فالرواية من وجهة نظرنا مادة لغوية واللغة كما نعلم مخزون ثقافي يتكلس أو يموت إذا عزل عن الإنسان من جهة وعن الثقافات الأخرى من جهة ثانية .

وقد فتحت النصوص الأدبية أفق النقد الأدبي والغوص أمام الباحثين والدارسين فكثر التناظر بين بُنى القراءات القديمة من الجاحظ وابن المقفع وابن قتيبة والمعري وابن رشيق وحازم القرطاجني إلى العقاد وطه حسين محمد مندور وتوفيق بكار وواسيني الأعرج مع بُنى القراءات الجديدة لتبيان مسالك الإبداع ومواطن الأتياع في إشكال ودلالات النصوص الأدبية لتحديد موقعها بين جدلية التعبير ومناهج التنظير . والمهم في نظرنا في سياق الموضوع المطروح على بساط الدرس أن النصوص الأدبية التي كتبت بصيغة مخصوصة في مفهوم التسامح وتقارب الثقافات الإنسانية عكست بجلاء الأوضاع الاجتماعية للواقع المعيش وعالجت بتبصر من خلال أنساقها الفنية الجوانب السلبية التي استشفها كتابها في مواقفهم ورؤاهم الكونية وخطابهم الإبداعي الذي يستشرف قضايا إنسان القرن القادم الذي تطمح الأطروحات السياسية والأدبية المتطورة إلى بناءه على أسس العقلانية ونفاذ البصيرة والتفتح والتسامح والإيمان بحق الاختلاف ومواكبة التطور والمساهمة فيه بقسطه الوافر .

وقد وضع الناقد المصري جابر عصفور هذه الرؤيا الإنسانية الكونية للأدب في تقييمه لأطروحة الدكتور عبد المحسن طه بدر «التطور والتجديد في الشعر المصري الحديث» بقوله : « ومعناه أنه بالقدر الذي يقترب به الإبداع من الحياة ويغدو نشاطا إنسانيا متأثرا بغيره ومؤثرا في غيره فإن قيمته الجمالية ترتفع وتعلو على غيره من ضروب الإبداع الذي ينعزل على الحياة ولا يتعدى أثره إلى سواء »(5)

وهكذا تتسلق النصوص الأدبية أسوار المحلية والحدود الضيقة وتتجاوز الانغلاق الفكري والنزعة الغيبية التي تؤدي إلى نفور المتقّي من قراءتها ومعاشرتها بسبب تباعدها عن الوجدان الجمعي وعن الحياة الفعلية وعن مواجهة الواقع. تفعل ذلك كي تنخرط في صميم الثقافات الإنسانية وتتصهر في لب الرؤى الكونية واعتقادنا أن ميوّنة الأدب التونسي الحديث تزخر بمكوّنات الرؤى الإنسانية ومدلولاتها : « إن النظرة التي نظر بها الأدب إلى المرأة قد ظلت بسيطة لم تكتحل بأضواء النجوم ولم تتأثر بما اعترض الحياة الإسلامية من جزر ومن نور وظلمة ومن صخب

وسكون ولكن العرب تجاوزوا في التغني بالمرأة كل حدّ حتى أصبحت هي اللحن الجميل الذي تستهل به القصائد وهي الكلمة السحرية التي تفتحت لها كنوز الشعر» (6)

«إنما نحن ألعيب الكلمات

كيف تجرّ هاته الفردية الوقحة على الاستهزاء وأنا الذي تخرجت من المدارس واشتغلت بالكتابة والتحرير ؟  
أليست هي امرأة ؟

أيها الإنسان أن في المرأة كل ما تخفى العوالم من غوامض وأسرار » (7)  
وقد تبلورت هذه المواقف الفكرية في نصوص أدبية موسومة بالحيرة والأسئلة وجدت مكانها في مدونة الأدب التونسي المعاصر . إذ انطلقت هواجس كتابها الفنية من الذات المبدعة لتفك مغالق الحيرة والسؤال وتكشف عن أدق تفاصيل الحياة المجتمعية كي تعود إلى الذات المبدعة مشبعة برؤى دلالية تأسست على مدى استحضارها للإنسان وإنما تتفاضل الثقافات بمدى استحضارها للإنسان حسب عبارة ابن خلدون في المقدمة .

المدرسة على الأبواب سي الفيتوري أريد سلفة - ثلاثة أيام وأتيك بالزربية ...  
رفع إليك بصره وقال بصوت كالصراخ : سلفة أما يكفيك سلفة ... خمس زراب ولا تستخلصي ديونك . بلغت ريقا كالعقم وتسمرت في مكانك ترجيته وألحت الرجاء ، احترقت كرامتك تمرغت في الطين كان لزاما ففي البيت طفلة تترقب فرحة مبدعة ... أدوات مدرسية ، رماك نظرات قاحلة وورقة ذات خمسة دنائير أريكتك الدهشة ناديت سليما بحدة ويداك تقلبان بتشنج بعض هدايا وثياب جديدة :

- سليم - ما هذا - من جلبه ؟

- ألم أقل لك لا تأخذ شيئا من الغريب

ردّ الطفل في ارتعاش : لقد جلبها لنا رجل لا أعرفه وقال لي هذه معايدة الوطن لكم .

تنفست بهنوء ... ضوّا فيك مصباح جديد بعد انطفاء ، فسرت إلى الغناء تسقين شجيرات الحديقة الصغيرة . (8)



هكذا تبين النصوص الأدبية محطة من محطات الوفاء والتسامح والتآلف والتأزر بمقاربات تجمع بين الثقافات الإنسانية في ظفيرة واحدة متجانسة لقدرتها الفعلية على تحقيق الفعل الدقيق بين إبراز صورة الواقع وبلورة مواقف كتابها وحرصهم على تثبيت أسمى القيم الروحية والحضارية والوطنية الخالدة وتجاوز مرحلة ترصيف قوالب الوعظ والإرشاد والاعتكاف في دائرة المحلية الضيقة .

### هواشي مرجعية

- 1 - ديوان الصراع : لنور صمادحمن قصيدة عيد الشعوب ، أُلقيت في غرة ماي 1956 بمناسبة عيد الشغل العالمي .
- 2 - كتاب الثقافة التونسية للأستاذ المنجي الشملي ط . دار الغرب الإسلامي - بيروت 1985 .
- 3 - ديوان قيامة الرمل للشاعر الليبي مفتاح العماري ( 1986 ) - ص 76 و 24 .
- 4 - الأستاذ منجي الشملي مجلة الفكر جوان 1960
- 5 - مجلة الآداب العدد الأول السنة 41 . جانفي 1993 .
- 6 - الخيال الشعري عند العرب للشابي
- 7 - كتاب محمد البشروش حياته وأثاره للأستاذ عبد الحميد سلامة .
- 8 - جنات اسماعيل : يوم طاعتي الأخير - دار الشيماء للنشر ط 1 - 1994 .

ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

"الانسان في علاقته بذاته لا يدرك. الانسان صورة لمعنى لا يمكن اكتناهاه. وفي هذا محدودية الانسان ولا نهائيته معا : محدوديته، لانه لا يعرف اقرب الاشياء اليه : ذاته. ولا نهائيته لانه حين يعرف ذاته، انتراضا، ينتهي، اي انه يصعب سطحا، او صفحة بيضاء، ويبطل ان يكون انسانا."

أدونيس

# فن الكتابة ومواصفات الكتاب من خلال الرسالة العذراء لابن المدبر ( الجزء الأول )

بقلم : خليفة الضياري

## \* تقديم :

عاصر أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن المدبر أبا عمرو الجاحظ ولازمه مدة ، أثر في آراءه وتأثر به دون ان يبلغ المرتبة الجليلة التي نالها هذا الأخير في الدراسات المعنوية بأسس النثر الفني عند العرب ، تنقل من العراق إلى الشام فمصر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري . وعاش في حمى المتوكل نديما حتى أبعدته الوزير عبد الله بن خاقان . شارك الزنج ثورتهم وسجن سنة 255 هـ ، ولم تمنعه الفتن والمحن ولا كثرة الواشين حوله من بلوغ الوزارة في عهد المعتمد ( 256 هـ - 279 هـ ) الذي انتهت خلافته في نفس السنة التي توفي فيها صاحب العذراء [ 1 ] اكتسبت من اشتغاله بالداوين دراية بفنون المكتبة وأصول البلاغة تعد الرسالة العذراء لبابها . وهي من أشهر آثاره التي ظلت مخطوطة حتى شملها محمد كرد علي بعنايته سنة 1912 فحققها اعتمادا على نسخة يتيمة عثر عليها في مكتبة الطاهر الجزائري . إلا ان صدورها لم يكن له صدق في مستوى ما هي عليه من أهمية ، الى أن خصها الدكتور زكي مبارك بدراسة مقارنة تبرز منزلتها ضمن الآثار المجالية والأحقه لكل من الجاحظ والصولي وابن درستويه ... وقدمها مرفوقة بنسخة منقحة ومشروحة من الرسالة الى معهد الدراسات الشرقية بباريس سنة 1930 . [ 2 ] في سياق اهتمامه بالنثر الفني عند العرب : « والفائدة من هذه الدراسة تحديد طبيعة الحركة الأدبية والنظريات المتعلقة بفن الكتابة في القرن الثالث الهجري ، وهي من قبيل التمهيد لكتابي عن النثر الفني في القرن الرابع الهجري . » [ 3 ] ولما كانت الرسالة العذراء هي مصدر ما سنحاول تبيانه مما يجب ان يتوفر في الكتاب ، ومما لا

يستقيم فن الكتابة بدونه ، يجدر بنا ان نلم بمفهوم الكتابة في تراثنا باعتبارها فناً ، ثم نعرف بدور الكاتب ما دامت خطته تقتضي ان يكون من الموسوعيين معرفة ، ومن المحنكين تجربة ، حتى انه لا يستقيم للملوك أمر إلا بتدبيرهم .

### ١ . مفهوم الكتابة عند العرب :

يعرف ابن منظور الكتابة لغة على أنها من : « كتب الشيء كتباً وكتابة ... والكتاب الإسم . والكتاب اسم لما كتب مجموعاً ... والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصناعة والخياطة ... ويقال اكتب فلان فلاناً أي سأل ان يكتب له كتاباً في حاجة ... ويقال اكتب الرجل اذا كتب نفسه في ديوان السلطان . والكتاب الصحيفة والنواة ... » [ 4 ] من هذا التعريف المختصر نستخلص ثلاث ملاحظات : اولاً ان الكتابة صناعة اي هي اختصاص قائم الذات ، ومن شأن ذلك ان يكسب المختص مهارات وخبرات تتفاوت تبعاً لتعلقه وسعيه للاجادة . وثانيها جريان فعل الاكتاب في ديوان السلطان أي التفرغ لهذا العمل مما يوعز بقدم هذه الوظيفة في البلاطات . وثالث الملاحظات ورود مصطلح الكتاب بمعنى الصحيفة والنواة تجوزاً يوسع دلالة الكلمة لتشمل المواثيق والعقود وغيرها من النصوص المكتوبة نثراً . وقارئ هذه الملاحظات قراءة حضارية يتبين ان الكتابة بمعناها الأدبي غير واردة إلا عرضاً ، وانما هناك تأكيد على خطة الكتابة بمعناها الإداري . وهذا ما نجده أيضاً في مادة [ كاتب ] المعرفة طي دائرة المعارف الاسلامية كما يلي : « لفظ يطلق في البلاد العربية الاسلامية على الشخص الذي ينهض بوظيفة مجال نشاطها كتابة أو تحرير الرسائل الحكومية أو الوثائق الادارية . وهذا المصطلح لم يكن يعني في العصر الوسيط لا المؤلف بالمعنى الادبي للكلمة ولا الوراق ، وانما يطلق على كاتب خاص مثلاً يطلق على موظف إداري » [ 5 ] وانطلاقاً من هذا التعريف بالتحديد نفتح نافذة على هذه الرسالة البكر التي تعد من اقدم الاعمال الموضحة لما يجب ان يتوفر في الشخص حتى يمكن است كتابه في دواوين الانشاء العائدة بالنظر إلى أعلى هرم السلطة في عصر ابن المذبر والحقب التي ستتعاقب بعده . ففي اطار الآثار المعاجة للوازم الكتاب وخصائص الكتابة ترد العذراء في المرتبة الثانية تاريخياً بعد رسالة عبد الحميد الكاتب ، مع كتاب الكتاب وصفات النواة والقلم

لعبد الله البغدادي تليها مقدمة ادب الكاتب لابن قتيبة ثم ادب الكتاب للصولي ( ت 335 هـ ) ثم ادب الكتاب لابن درستويه ( ت 346 هـ ) وغير ذلك من المؤلفات التي تصبح فيها مسألة الكتابة موضوعا فرعيا مثلما نجد ذلك في كتاب الوزراء والكتاب لابي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى ( ت 331 هـ ) . ولعل عدم اطلاع ابن المدبر على رسالة عبد الحميد هو ما جعله يعتقد انه اول من صنف في هذا الموضوع : « وهذه الرسالة عذراء لأنها بكر معان لم تفتقرها بلاغة الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين ، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ولا سبقت إلى الفاظها أذهان الناطقين ... » [ 6 ] ولكنه في بعض ما اعتقد لم يجانب الصواب ، بل إنه استزاد فائقن ، وأفاض فبلغ شأوا لم يطله سابقه بأسلوبه الخطابى الذي جعله إلى الإيجاز في القول أميل ، وإلى التعميم في النصح أجنح .

## 2 - شروط البلاغة وأسباب البراعة

تصرح الفقرة المتصدرة للرسالة ان ابن المدبر كتبها رداً على طلب مكتوب وصله يسأل فيه صاحبه عن « جوامع أسباب البلاغة وغوامض آداب أدوات الكتابة » [ 7 ] وهو ما يضبط الأجابة في عنصرين بلخصان مطلب الطالب ويشفيان غليل الرأغب . فعبارة جوامع أسباب البلاغة تستبين الزائد النظري الذي يجب ان يتسلح به الكاتب إذا تقاضته نفسه علم الاكتتاب . أما عبارة آداب أدوات الكتابة فيترجم عنها السؤال اللاحق لها « متى يكون الكاتب مستحقاً اسم الكتابة ؟ » [ 8 ] أو بالأحرى كيف تصبح تلك الشروط النظرية سبباً للإجادة في القول والافادة في النصح ... ومن شأن ذلك ان يختصر البنود الكبرى المكونة لنظرية الكتابة عند صاحب العذراء .

### أ - الشروط النظرية :

وهي شروط معرفية صرف لكن مناهلها شتى ، وهي في الرسالة لا تخلو من ترتيب : أولها درية وهران ، وخاتمتها سبر لحوادث الزمان . فالكاتب مطالب بأن يكون متعلماً أطال الاختلاف إلى العلماء و مدارسة كتب الحكماء . لأنه لا يمكن أن يمسك بأزمة المعارف مالم تتدرب ملكة التعلم لديه على الاستيعاب والتمييز . حتى إذا حصل ذلك أصبح يسيرا على الشخص الارتقاء من طبقة العامة المجبولة على

السُّطحية في التفكير والرُّطانة في القول وسرعة الانفعال ...إلى طبقة الخاصة بما يستلزم مركزها الاجتماعي من سلاسة في التعبير ودهاء في التَّدبير . بعدئذ يَبْوَء ابن المدبِّر الشرط النظري الثاني وهو : « خوض بحار البلاغة وطلب أدوات الفصاحة » [9] بإيراد أهمِّ المصادر التي هي بالنسبة إلى مستوفي شرط التَّعلم بمثابة اللقاح الفكري وهي كالتَّالي :

أ - رسائل المتقدمين ( للاعتبار ) ورسائل المتأخرين ( للاختبار ) .

ب - نوادر كلام الناس ( للتضمن ) .

ج - الأشعار والأخبار والسير والأسمار ( لتوسيع المنطق )

د - كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب - ( ليعذب اللسان وتسلل العبارة )

هـ - الاطلاع على معاني العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ( لتحقيق المعرفة الشاملة وتنمية ملكة المقارنة )

و - معرفة مكاييد الفرس ووقائعهم وحروبهم ... ( للاستعانة بذلك على فهم أنماط تفكيرهم وخططهم )

وملخص ما يستنتج من هذه الشروط أنها تمثل المرحلة الأولى والأعسر في تكوين الكاتب . فإذا أضفنا إليها شرط التبحر في علم النحو والتصريف نجد أنفسنا إزاء نموذج معرفي موسوعي قادر على الإيفاء بالشروط التطبيقية .

### ب - الشروط التطبيقية :

وهي مترتبة عمَّا سبق من شروط . ذلك أن اكتمال العناصر المعرفية المبيِّنة كفيلاً بتنمية الذائقة الفنية وتمتين إمكانيات الكاتب التحليلية ليأثس في نفسه القدرة على الإِتباع بمعنى السَّير على النَّسق المعمول به في المكاتبه من تضمين للقرآن ، واجتلاب للأمثال ، والأبيات البارة من الشعر عند اقتضاء الأمر . ثمَّ القدرة على الإبداع بمعنى اختراع ما لم يُسبق إليه منهاجاً وأسلوباً . وفي هذا المضمار يكشف صاحب الرسالة سرّاً من أسرار مكاتبة الخلفاء والرُّسساء يتمثل في عدم جواز اجتلاب الشعر في كتبهم ما عدا ما هو من صنع الكاتب نفسه : « فَإِنَّ اجْتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجلَّة من الرُّسساء عيب واستهجان للكتب ، إلَّا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصَّانع له . » (10)

ومن الشروط التطبيقية التي يجب أن تتوفر في الكاتب درايتُه بدقائق الفوارق بين طبقات الناس ليخاطب كل ذي منزلة بالعبرة اللائقة بمقامه .

ولا يقف أبو اسحاق عند حدّ النصيح مثلما نجد في رسالة عبد الحميد إلى الكتاب ، بل يجري تقسيما اجتماعيا طريفا ودقيقا في ذات الوقت ، ينقسم الكلام وفقه على طبقات موزعة في ثمانية أقسام ، أربعة للطبقة العلوية ومثلها للطبقة التي تونها . وتلك الطبقات متدرّجة هي الأخرى حسب مقامات المخاطبين كما يبيّن الجدول التالي :

### \* الطبقة العلوية

الترتيب	مبَررات الترتيب	
المرتبة الأولى	الخليفة أجلها الله وأعلى مكانتها في التوقير والمخاطبة والمراسلة .	
المرتبة الثانية	الوزراء والكتاب يخاطبون الخلفاء بالعقل واللسان ويتجملون بأدابهم .	
المرتبة الثالثة	أمرأء الثغور وقواد الجيش ترتيبهم رهن حملهم لأعباء الأمور من صيانة للثغور وتصدّ لجلائل الأمور .	
المرتبة الرابعة	القضاة يجمعون بين أبهة السلطنة وهيبة الأمراء .	

## \* الطبقة التي دونها

الترتيب	مبَررات الترتيب	
المرتبة الأولى	الملوك	تفضيلهم أوجبته نعمهم .
المرتبة الثانية	الوزراء والكتاب والأتباع	أدوات تساعد على فتح أبواب الملك أمام الكتاب للانتفاع من هباتهم وعطاياهم .
المرتبة الثالثة	العلماء	لشرف العلم وعلو درجة أهله .
المرتبة الرابعة	أهل القدر والظرفاء والأجلاء والوجهاء ..	لنقطة ملاحظاتهم وتمييزهم وانتقاداتهم .

ولعل أهم ما يوضحه الجدول أنه يكشف الخلفية الذهنية التي يبوّب الكاتب على أساسها مواد هذه الشروط التطبيقية . فالتأمل متفطن ولا شك لهذا الاختلاف بين المنطق المعتمد في ترتيب عناصر الطبقة العلوية ، ومنطق ترتيب عناصر الطبقة التي دونها . في الأول رسم درجات السلم الإجتماعي المعهود في القرن الثالث الهجري حيث يسود نظام الخلافة ( أعلى هرم السلطة ) ثم الوزراء والكتاب وهم أشرة القيادة ، ثم الأمراء والقواد ويسبقون في ترتيبهم القضاة لتمثيلهم السلطة العليا في الأقاليم والثغور أولاً ، ثم لعودة القضاة إليهم بالنظر على ما هم عليه من تبحر في العلوم وثقته في الدين بالخصوص . أمّا المنطق المعتمد في ترتيب الطبقة

الثانية فنفعي في المقام الأول ترتبط فيه رفعة الشخص بمدى ما هو عليه من جود وسخاء ! فالملوك يتصدرون لعظمتهم التي توجبها جزالة عطاياهم . والمعني بالملوك هنا ما يقابل الخليفة عند المسلمين لدى الأمم المجاورة رومية ، فارسية ، يونانية ... وهم أدنى مرتبة من خلفاء المسلمين من وجهة نظر عقائدية لأنه لا يعقل تسوية خلفاء الله في الأرض بالأباطرة أو الأكاسرة . ولكنهم يتساون معهم في تصدّر الترتيب عند شعوبهم أو بالأحرى في نظر كتّابهم بحيث لا بدّ من أن يراعي الكاتب ذلك حفاظا على مصادر استرزااق هامة بموجب قاعدة جاهزة ونابعة من صميم التجربة : « على قدر أهل الكرم تأتي المكارم » تطال أيضا ترتيب الوزراء والكتاب . فالعرب منهم ينزلون في الترتيب الثاني لاعتبارات معرفية وأخلاقية ( لسعة معارفهم وتحليّهم بأداب قمة مرم الحکم ) . أمّا وزراء الأمم الأخرى وكتّابها فهم في نفس المرتبة لاعتبارات مادية صرف ، فهم مفتاح خزائن الملوك . في حين يستوي في المرتبة الثالثة أمراء الثغور وقواد الجيش عند العرب المسلمين بالعلماء عند الأمم الأخرى وهنا تبرز معالم المفارقة الكبرى : أين العلماء المسلمين ؟ لماذا لم يقابل العالم العقلي بنظيره النقلي ؟ ما غرض أبي اسحاق من التصريح بجلالة العلوم الأعجمية والسكوت بالتوازي عن قداسة العلوم الإسلامية ؟ لماذا ألزم القضاة آخر مراتب الطبقة العلوية بمعنى المساواة بينهم وبين أهل القدر، والظرفاء، ووجهاء الأمم الأخرى ، وكان يمكن أن يقابلوا العلماء في المرتبة الثالثة لأن نهوضهم بإقامة الحدود وفق أحكام الشريعة يضعهم بالضرورة في تلك المرتبة ، لا سيما وأن العالم بالمفهوم الإسلامي هو المتفقه في علوم الكتاب المنزل والسنة النبوية ؟ ولئن كانت الإجابة عن هذه الأسئلة غير هيئة لندرة ما بلغنا من أخبار ابن المدبر وتصانيفه ، فإنّ من باب التّؤليل الضعيف يمكن أن نردّ جزءا كبيرا من هذه التقابلات إلى ما عرفه الكاتب في حياته الخاصة من هزات وتقلّبات انعكست فكريا في ارتباطه بالنموذج العقلي لدى الأمم المجاورة، وععليا في انخراطه في حركة تمرّد الزنج ، وسجنه وطرده وتجوّاله من بلاط إلى آخر ... ويُسْتثنى من هذا الترتيب التّجار والسوّقة والعوام لاستغنائهم بالتجارة وغيرها من الصنائع عن أن يكونوا طرفا في المكاتبات الرّسمية .



فإذا جهل الكاتب هذا التقسيم ولم يراعه في صناعته ينصحه ابن المديبر نصيحة ذات مغزى ترهيبية : « لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم في غير مسلكتهم ، وتجري شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه . » (11) وهنا يظهر التكامل الذي بيناه سابقا والضروري توفره في تكوين الكاتب ، وهو ما يجعل المعرفة مهما تنوعت روافدها عديمة الجدوى إذا فافتقرت إلى الخبرة بخفايا المجتمع ثقافيا وسياسيا واجتماعيا . والخبرة بهذه الأوضاع غير مجدية كذلك ما لم يرفدها التعلم أولا ثم التمهّر في فنون البلاغة والفصاحة .

وباستيفاء هذه الشروط بنوعيتها يكون المنتدب لديوان الإنشاء قد جمع بين خوافي التفنن في التعبير والتعبير ( الشروط النظرية ) وأصول براعة التدبير ( القدرة على تمييز الفروق بين طبقات الناس ) وهو ما يسمح من وراء كل ذلك من اقتناص العناصر المشكلة لمفهوم أبي إسحاق لهذا الفن الدقيق .

#### جـ - مفهوم الكتابة عند ابن المديبر :

يمزج صاحب العذراء لإرساء أعمدة فن الترسل من خلال نظريته الخاصة للكتابة - والحال أن هذا الفن ما زال مفهومه الفني في طور النشأة - بين ما يقتضيه النوق الفني من مبادئ معرفية ثرية ومتنوعة ، وبين ما تستوجبه الرياسة من دهاء ودقة نظر تكتسب من ملازمة ذوي التيجان . وبذلك يكون أول من تفتن إلى الدور الخطير الذي أصبح الكاتب ينهض به ، فهو لم يعد أداة نسخ ياتمر بأمر مستكتبه فحسب ، وإنما بدأ يتبوأ منزلة لسان الحاكم ، وصاحب الرأي القادر على بسط موقفه الشخصي على معاني النص المكتوب ، إدراكا منه بأن المضامين الصادرة عن رأي الحاكم إنما تمرّ عبر أسلوب كاتبه . يعني ذلك أن الكاتب في نظر أبي إسحاق هو من يقدر بالفن على سياسة الخاصة وبالسّياسة على الإصابة في القول مهما كان المخاطب . وهو لعمرى مفهوم أعمق بكثير من المبادئ التي حاولت العرب بعدئذ تبويبها لتكون شروط الكتابة بصفة عامّة . فلو أجرينا مثالا مقارنة بين شروط الاكتتاب التي تتوفر عليها هذه الرسالة ، بتلك التي بويها ابن الأثير ( 558 هـ - 637 هـ ) في مقدمة كتابه المثل السائر (12) لوجدنا العناصر التي حددها صاحبنا أصبحت بعد ثلاثة قرون بمثابة القانون المشرّع لمن

يحق له التحلي بصفة الكاتب ، بل قد لا نبالغ إذا اعتبرنا ابن المدبر أبعد رؤية وأعمق وعيا بحدود الخطأ ، لا سيما وأن المؤهل لصناعة الكتابة إضافة إلى هذه الشروط مطالب بأن يكون على مواصفات جسدية وذهنية معينة نجدها منبئة في الرسالة ، وهي محور الجزء الثاني من هذا العمل %

#### \* الإحالات :

(1) يمكن مراجعة ترجمة ابن المدبر في دائرة المعارف الإسلامية ( النسخة الفرنسية - الطبعة الجديدة ) المجلد الثالث ص 903 - 904 .

(2) نشرت الدراسة باللغة الفرنسية مرفوعة بالنسخة المشروحة من الرسالة ، عن مطبعة المكتبة المصرية سنة 1931 وعنوانها : « ملامح فن الكتابة عند العرب في القرن الثالث الهجري » في كتاب مستقل عنوانه : الرسالة الغراء : دراسة نقدية .

(3) المرجع السابق - ص 8

(4) ابن منظور : لسان العرب ( ط . دار المعارف - ب . ت )  
مادة ( كتب ) ص 3816 - 3818 - وقد توسع الشارح الإحاطة بكل مشتقات هذه المادة ، لذلك اكتفينا بما يهم موضوعنا فقط .

(5) ( Encyclopedie de l'Islam ( nouvelle edition ) - Tom4  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>  
KATIB ) p 785 - 791 .

(6) وردت الرسالة في جملة من التصانيف الأدبية القديمة والحديثة منها رسائل البلغاء ( دار الكتب العربية - القاهرة 1913 ) والعقد الفريد ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1953 ) إلا أنه بالمقارنة وضع أن تحقيق الدكتور زكي مبارك يمثل أكمل نسخة وأبينها شروحا ... لذلك اعتمدناها مصدرا أساسيا لعملا .

(7) المصدر السابق ص 5

(8) نفس المصدر ص 5

(9) نفس المصدر ص 7

(10) نفس المصدر ص 7 - 8

(11) نفس المصدر ص 11

(12) اخترنا شيئا الدين بن الأثير بالذات للمقارنة لأنه يجمع في تفكيره بين النظرية والتطبيق . إضافة إلى ذلك فكلاهما أديب وناقد ، وكاتب ضليع في السياسة ، ويلغ الوزارة وتنتقل بين الأقاليم .

## ريادة محمد البشروش في دراسة الأدب

### التونسي قبيل الإسلام

« مستقبل الماضي هو الحاضر والحاضر هو ملامح المستقبل »

أعطينوس

بقلم : جلّول مزونة

#### \* - المقدمة :

محمد البشروش ، شاب متعدّد المواهب والإهتمامات : قصّة ، تاريخ وتراث - ترجمة ، شعر - صحافة ...

أ - البشروش المجدّد :

في القصّة : الواقعيّة الجديدة ، بلا وعظ ولا إرشاد = تصوير فني ...  
في الصحافة : الطّموح لبعث مجلّة ذات مستوى مرموق ، رغم العراقيل وقلة ذات اليد ... ( محاولة أولى وثانية )

في الشّعْر : نظرة جديدة ، تقطع مع القديم والمكرّر ، والجديد قوامه الغنائية أي الشّعْر النّابع من النّفس ومن تجربة الشّعْر الحياتيّة - وهذا هو المفهوم الحديث والأرقى للشّعْر منذ القرن الماضي وكان في هذا مع جمع من رفاقه وعلى رأسهم الشّابّي ...

#### ب - البشروش الصّريح والعنيد في خصوماته :

- من ذلك هجومه على أصنام الشّعْر ، الذين فازوا في استفتاء مجلّة العالم الأدبي وهم : عبد الرزاق كركابا ومحمود بورقيبة والطاهر القصّار .

( .. [ استشهاد = انظر : كتاب : عبد الحميد سلامة ص 194 و 195 ]

وهو إذ يهاجم رموز الشّعْر في عصره ، بدون تردّد ولا محاباة ولا توريّة ويكلّف عنف فلائنه وصحبه إنّما كانوا يبحثون عن منافع جديدة مغذية للشّعْر وللأدب بصفة عامّة بعيدا عن المعاد والممجّوج والمعهود ونعت أنصار القديم ب « الجيف التنتة » ( ص 84 = كتاب سلامة ) .

( استشهاد آخر = هو واع تماما بصحّة موقفه ولا يخاف لا الغضب ولا السخط عليه ) ( كتاب سلامة : ص 87 )

وفي بحثه عن المنابع الجديدة يهرع إلى : **الاداب الأجنبية الأخرى المعاصرة والأوروبية منها بالخصوص وإلى أداب ، بلادنا القديمة ولفترة ما قبل الإسلام بالذات .**

## **2) ريادة البشروش في الدعوة لأدب تونسي**

### **1) ملابسات الدعوة :**

#### **1) في الخارج**

**الدعوة المصرية - السياسية الأسبوعية = الدعوة لأدب قومي** ( كتاب سلامة

ص 189 )

**الدعوة الإستعمارية** والتي تبطن قطع جذور الأمة عن حاضرها الإسلامي العربي وذبذبة الإنتماء والعودة لعصر الرومنة انطلاقا من نظرة مركزية أوروبية ترى أحقية الغرب بقيادة العالم

#### **ب- في الداخل :**

**هاجس التجديد الفكري والأدبي والإقلاع الحضاري** عموما والأدبي خصوصا وذلك انطلاقا من وعي عميق بتخلفنا في هذه الميادين بعد حركة الترجمة الحديثة وحقق اللغات وقراءة إنتاج الغرب مباشرة

**الدعوة السياسية الوطنية** وطلب الإستقلال وتنظيم الصفوف من أجل ذلك ، وهذه الدعوات الوطنية وإن كانت ذات صلة بعضها ببعض فإنها بالأساس تنهض من داخل الحدود الجغرافية الإقليمية أي الحدود التي ثبّتها أو طورها الإستعمار والحماية وإن كانت هذه الدعوات تقوم من أجل تقويض الإستعمار والحماية ولكنها تأخذ في دعوتها إلى التبشير بقيام كيانات اقليمية وطنية كمرحلة ضرورية في التكتيك السياسي .

## **2- كيف تخلص البشروش من فخ الإقليمية ومن هجومات خصومه ؟**

### **أ) مناصرة بعض الأصدقاء لدعوته وأساسا محمد الحليوي**

استشهاد = محمد الحليوي :

[ في الأدب التونسي - ص 167 و 168 ]

[ و 169 و 170 و 171 و 173 ]

## ب) توسيع الدعوة :

وذلك بدعوة البشروش إلى الإهتمام بكلّ الميادين وطنياً مثل :

الدعوة لموسيقى تونسية [ لا المألوف ]

[ ... وحضور بورقيبة في حفل 1932 عند عودة وفد القاهرة إثر المؤتمر العربي الأول للموسيقى ... ]

، والدعوة للإهتمام بالتاريخ القديم والتراث وبالفنون بصفة عامة وهو في هذا ينظر نظرة شاملة للثقافة الوطنية ككلّ متجانس ومتكامل .

## ج) الحفاظ على اللغة العربية الفصحى

وهو ضدّ الإطاحة بها - وهو ، مع الحليوي يخرجان من أهمّ تهمة لخصومهما وإن دعا الصديقان إلى الإهتمام بالأدب العامّي جمعاً ودراسة لالتصاق ذلك الأدب الشعبي بالمشاعر العميقة للناس ولصدق ذلك الإبداع ، معاً يتماشى مع مذهبها الأدبي ، فإنّ الدعوة آخر الأمر ، هي التقريب ما بين الأدبين العامّي والفصيح للإرتقاء بالنقّ العام وخلق لغة فصيحة بسيطة غير معقّدة وسهلة الفهم والتناول ، هدفها لا تقليد القدماء وإنما وصف الحياة والتعبير عن همومها ومشاعرها .  
أي إنّ دعوة البشروش هي خلق لغة وسطى جديدة تتماشى مع الحياة الجديدة والمعاصرة - ( انظر كتاب بوسلامة ص 233 و 234 )

## د) تبني أدب ما قبل الإسلام

واعتبار ذلك الأدب أدباً وطنياً بأنّ معنى الكلمة ، رغم أنّه كتب بغير العربية ، لغة البلاد منذ 14 قرن .

واعتبر أنّ أهمّ عناصر الأدب الوطني وقبل اللغة هو النفسية الشعبية الوطنية وقد قضى سنوات شبابه ونضجه الفكري يبحث عن النفسية الوطنية التونسية والذاتية التونسية فيما كتب قديماً وحديثاً ، لذلك تراه يقرأ ما يكتب عن بلادنا بالفرنسية أساساً من دراسات أدبية وتاريخية وفكرية ومقالات صحافية ، ويترجمها أو يعرف بها في سلسلة من المقالات محاولاً تتبع ما كان يعتقد أنّه مميّزات تونس عبر العصور بغضّ النظر عن الدين واللغة ...

لذلك لقّبوه ب : " زعيم حركة الأدب القومي في تونس " [ العالم الأدبي 17 - 4

جويلية 1932 و ( ع 18 - غرة جويلية 1932 ) ؟

[ انظر كتاب سلامة = ص 111 و 112 ]

ولقب كذلك بـ 'أول داع للأدب القومي بتونس ، الأستاذ الجريء والكاتب النابغ'

[ الزمان ع 136 - 11 جويلية 1932 ]

وقد قام البشروش من أجل تبليغ دعوته بكتابة تعريف وتحرير دراسة عن أدب

تونس ( أو شمال افريقيا ، بصفة أوسع ) قبل الإسلام في عهده الإغريقية والبنونية

القرطاجنية أو الرومانية والوندالية والبيزنطية

ونشر من أجل ذلك حوالي [ 20 ] مقالة مختلفة بكل من الزمان ( جريدة ) سنوات

1934 و 1936 و 1938 ( حوالي [ 7 ] مقالات )

. وبالعالم الأدبي ( مجلة ) = سنوات 1930 - 1932 - 1935 - [ 7 ] مقالات

. وبالزهرة ( جريدة ) سنة 1944 ( مقالان اثنان )

. وبالنهضة - سنة 1930 مقال وحيد

. وبالمباحث = مقال وحيد سنة 1944

أي أنه بقي يحمل هذه الدعوة من سنة 1930 ( 1 ) إلى سنة وفاته 1944 ... بل

إن له مشاريع لم يتمها وقد استغل اشتغاله بالإذاعة التونسية ، فبث حلقات

دراسية في نفس المعنى

### 3- منهج محمد البشروش في تناول الأدب التونسي قبل الإسلام :

أ - إن منهج البشروش محدودة ، لأنه درس هذا الأدب حسب الإمكانات المتاحة

له عندئذ ، فهو لا يتقن لا اليونانية ولا اللاتينية ، لذلك فهو في ما كتب عالة على

الدارسين الفرنسيين المختصين ، وبالأخص على المستشرق Paul Monceaux

في كتابيه المعرفين المذكورين في المصادر :

( 1 ) Les Africains Les Paiens ( 1894 ) ( 500 صفحة )

( ب ) ( تاريخ الأدب المسيحي في شمال افريقيا ) ( 7 أجزاء )

ولكنه مع هذا يضيف ما اطلع عليه ( 1912 Revue Tunisienne مثلا ) ( ص

274 ) والبشروش يذكر مصادره بدون حياء وهم الوحيد هو التعريف والدعوة

للإهتمام بهذا الأدب ( 2 ) لذلك تراه كثيرا ما يلجأ إلى القول :

- " على ما يقول دار سوها " ( ص 264 = سلامة )

- " على ما يقول الذين درسوها " ( ص 273 )

- " ولغته يقولون إنها لغة السوق ( ص 274 )

- " حسبما يقول الأستاذ بول مونسو " ( ص 285 )

- ولا نجده يذكر أنه قرأ مباشرة إلا قصة المسوخ الأبيلي ، يقول ( ص 267 -

سلامة ) " ولم نقرأ من كتب أبيلي إلا قصة : المسوخات أو الحمار الذهبي "

وكذلك اعترافات أغسطس ، يقول البشروش ( ص 279 من كتاب سلامة ) .

" الإعرافات ، وهي اعترافات لم نقرأ ما يضارعها من اعترافات سواء من الكتاب

ولست استثني اعترافات روسو "

ومحدودية منهج البشروش هذه لا تنقص من عبقرية الرجل شيئا بل هي تظهر

نزاهته العلمية .

ب ) وهناك مظاهر أخرى لمنهجه تضيء لنا مساره الفكري فهو مثلا :

يتبنى نظرة لانيكية لهذا الأدب : يقول ص 248 ( كتاب سلامة ) " فدرس الآداب

وفهمها شيء والدين شيء آخر "

وهو صاحب نظرة مستقبلية للأشياء ( ص 250 من كتاب سلامة ) :

" إن العصر الذي يجمع بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق ويوفر للأدب التونسي

مزايا قلما وفرت للغير فنخرج بعد كل شيء بشخصية أظهر وذاتية أبرز وأغنى

وأشمل وأتم "

ثم هو آخر لا يقبل أن تدرس آدابنا قبل الإسلام في جميع أصقاع العالم

وتترجم إلى كل اللغات الحية " عدا البلاد التي خرج منها والتي تمت إليه بصلة

الرحم والغربي " ( ص 258 - كتاب سلامة ) .

### 3) الخاتمة : دعوة البشروش لا تزال صالحة اليوم وقائمة الذات :

لم تذبل ولم يفعل فيها الزمن فعله لأنها لم تتحقق إلا جزئيا رغم قيام الدولة

الوطنية التي بنى البشروش أسسها الفكرية والثقافية .

1) ترجمة هذا الأدب : ( انظر المراجع )

أ ) - إبراهيم بن مراد ( إبراهيم الغريبي )

ب) - د . فهمي خشيم من ليبيا الذي ترجم بجانب تحولات الجحش الذهبي  
 - دفاع صبراته ( دفاع أبو ليوس المدوري في محاكمته بمدينة صبراته )  
 - الأزهير - نماذج من كتابات وخطب وأحاديث الأديب لوكيوس أبو ليوس المدوري  
 ... الخ (3)  
 (2) محاولة تدريس هذا الأدب في قسم الفرنسية بكلية الآداب في منوبة منذ ثلاث  
 سنوات .

Apulee : l'ane d'or -

St Augustin : Les confessions -

ومع الإصلاح الجديد ، هل سيتواصل هذا البرنامج ؟  
 (3) تجربة مصر وسوريا وبالأخص العراق الذي هضم التجارب الماضية وأدب  
 بلاد الرافدين القديمة ، وترجمها ودرسها واستبطنها في الضمير الوطني  
 واستلهمها في الإنتاج الأدبي الحالي ، وهذا هو طريق المستقبل .  
 (4) دعوة بيت الحكمة لترجمة هذا الأدب إلى العربية ، ونحن بدعوتنا هذه ( عودة  
 النص ) نتمشى تماما ودعوة البشروش في الحفاظ على اللغة العربية وفي إثرائها  
 وذلك إثراء لنا في زحمة القرن الواحد والعشرين القادم وفي المنافسة العالمية  
 الشاملة والتي تتجاوز السلاح الإقتصاد والصناعة لتلج عالم الفكر والثقافة أي  
 الحضارة بمفهومها الواسع .

(5) ودعوة البشروش لقيت قبلي صداها لدى :

أ) البشير بن سلامة [ استجواب بلادي - 7 مارس 1977 - والفكر أفريل  
 1978 ) - انظر مهاجمة محمد أحمد القابسي ]

ب) الشاذلي القليبي ( أمام مجلس الأمة : الصباح 9 ماي 1977 )

ج) الحبيب الجناحي ، يظهر حذرا كبيرا ( الصباح 31 أوت 1978 )

د) حسين فنطر : ( بلادي الثقافية - أفريل 1978 )

هـ) محمد العلوي ( 7 La Presse P 12/11/78 )

(6) ومثلما يقول أغسطينوس : ارتباط الماضي بالحاضر والمستقبل ، فنحن في  
 حاجة ، لفهم تطوّرنا الحضاري وبالتالي لفهم أنفسنا ، أن ندرس لا تاريخنا القديم



فحسب ، وأدابنا القديمة ولو كانت بلغة غير لغتنا العربية ، لغة اليوم ، بل لدرس  
فلكورنا وأساطيرنا وأحلامنا ، لأنها مكونات أساسية لنواتنا العميقة مثلما يذهب  
لذلك يونغ ( انظر = عرض الحمروني ) مجلة الإذاعة ...

### ملحق

(1) حسين فنطر :

قضايا تعريب التاريخ القديم بحثا وتدرسا

( ملتقى ابن منظور )

بلاوي الثقافية - أفريل 1978 ص 17 و 18 -

" تونس يبدأ تاريخها القديم بظهور الكتابة فيها ، أو قل باستعمال الكتابة فيها ،  
أي بدخول الفينيقيين .

" ... لكل قطر عربي تاريخه القديم ، فالتاريخ القديم ، بالنسبة للعراق ومصر  
الفرعونية يبدأ في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد ... ولابد من تقييم هذا الرصيد  
...

" إن العرب لم يعيروا التاريخ القديم ما يستحق من العناية ، بل كثيرا ما نظروا  
إليه بعين الإحتقار ، من ذلك قولهم : جاهلية ... أساطير الأوكن ... ولابد من ظهور  
حركة قومية مؤمنة تنادي بالإهتمام بالتراث القديم .

فقد أعرض سلطان الإسلام عن كل ما سبق الرسالة ... وسعى الإستعمار جهده  
ليبعد الموكن عليهم عن تراثهم وتاريخهم القديم وسخّروه لإرساء نظرياتهم  
وسياستهم ... وهناك جزء من الحضارات القديمة ينتسب إلى العائلة السامية ،  
كالبابلية والآشورية والكنعانية والحميرية وغيرها ...

ويجب جعل هذا القطاع من التراث القديم مسخرا لبناء الحاضر ومفيدا لتصور  
المستقبل ؟ "

Esprit d ,ouverture qui allie l'affirmation de l'identité arabo mu - 2  
sulmane , au souci de nous preva loir d'un prestigieux passe nu -  
mide ou carthaginois " .

Mohamed Yaalaoui

La presse , 12 Novembre 1978

## المصادر والمراجع:

### 1 ( المصادر :

1 - عبد الحميد سلامة : محمد البشروش ، حياته وأثاره الدار التونسية للنشر - 1978 - 483 صفحة .

انظر بالخصوص الصفحات : من ص 76 إلى ص 82 - ومن ص 110 إلى ص 112 ( حول الموسيقى التونسية ) ومن ص 115 إلى ص 117 - وهي الصفحات التي خصصها عبد الحميد سلامة لموضوع الأدب القومي والأدب التونسي قبل الإسلام ويسط الإشكاليات حول تلك المواضيع

أما مقالات البشروش فهي في الصفحات : من ص 189 إلى ص 193

أ - دعوة إلى تكوين أدب قومي - النهضة - صيف 1930 -

ب - الأسلوب - العالم الأدبي - ص 3 - عدد 9 سنة 1 - نوفمبر 1930

ج - الأدب العامي : ( ص 233 ) - الزهرة عدد 10442 - سنة 57 - 3 جانفي 1944

د - سلسلة مقالات حول : تاريخ الأدب التونسي قبل الإسلام ( من ص 247 إلى ص 285 ) ( 9 مقالات ) -

- في الأدب التونسي : الزمان - ص 1 - عدد 229 - ص 6 - 3 جويلية 1934

- لمحّة : العالم الأدبي ص 1 عدد 6 - ص 4 - 4 مارس 1935

- العصر الإفريقي : العالم الأدبي - ص 6 - ع 15 - س 224 - سبتمبر 1935 -

- العصر اللاتيني : العالم الأدبي - ص 3 - عدد 17 - س 4 - 16 ديسمبر 1935

- عصر أبيلي وقرطوليان : الزمان - ص 2 - عدد 313 - س 6 - 7 جانفي 1936

- عصر الملوك الأفارقة - الزمان عدد 314 - ص 6 - 14 جانفي 1936

- سيبريان .... الخ الزمان - عدد 315 - ص 6 - 21 جانفي 1936

- عصر أغسطس ... الزمان : عدد 317 - ص 6 - 4 فيفري 1936

- عصر الوندال .. والعصر البيزنطي - الزمان س 6 - 3 مارس 1936 ( 4 )

هـ - الموسيقى التونسية ( 1 ) - العالم الأدبي - ص 3 - عدد - 17 س 3 - 4 جويلية 1932

و - الشيخ أحمد الوافي - العالم الأدبي - ص 3 عدد 18 - س 3 - 11 جويلية 1932

ز - الموسيقى التونسية ( 2 ) العالم الأدبي ص 2 - س 3 - 18 جويلية - 1932 -

ح - عديد المقالات الأخرى :

- وجوب العناية بتاريخنا - الزهرة - عدد 10.557 - سنة 58 - 1 ماي 1944

- عنايتنا بآثارنا - المباحث - ص 4 - ع 6 - سبتمبر 1944

- دعوة إلى طبع المخطوطات التونسية ونشرها الزهرة : عدد 10.456 - س 57 - جانفي 1944

- الآثار التونسية : الزمان - أعداد 460 - 461 - 462 - 463 - سنة 1938 ( وهو سلسلة مقالات مترجمة ) .

- وفي الجملة : حوالي / 20/ مقالة للبشروش ... ( 5 )
- ( 2 ) محمد الحليوي : في الأدب التونسي - الدار التونسية للنشر - 1969 - 318 صفحة .
- ( 1 ) الدعوة إلى تكوين أدب قومي من ص 165 إلى 170 - ( نشر بالنهضة - صيف 1930 ؟ )
- ( ب ) ردّ على صاحب : النهضة - 18 أوت ( من ص 171 إلى ص 175 )
- ( ج ) محمد البشروش - مجلة الفكر أفريل 1960 - ( من ص 107 إلى 113 )
- 3 - Paul Monceaux . Les Africains . Etude sur la litterature latine d - 3  
afrique les paiens - Paris . Lecene - 1894 - 500 p
- 4 - Monceaux . Paul Histoire litteraire de l afriaue chretienne de - 4  
puis les origines jusqu a l invasion arabe . Paris - Lerous - 7 tomes .
- 5 - jean fontaine . histoire de la litterature tunisienne par les textes - 5  
T . 1 des origines au siecle -
- Editions turk . le bardo - 1988 - 194 pages
- 6 - Apulee l que d or ou les metamorphoses . Follo . n 629 . Galli - 6  
mard - 1958 et 1975 - 309 pages
- 7 - Saint Augustin . Les confessions - 7  
Editions Pierre Horay - Collection . Points Sagesses SA . 31 - Le  
seuil . 1982 . traduction de louis de Mondadon . presentation par  
andre mandouse
- 8 - د . علي فهمي خشيم = تحولات الجشش الذهبي المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان -  
طرابلس - الجماهيرية الليبية - ط 1 - 1980 و ط 2 - 1984 - 384 صفحة
- وهي ترجمة 'منظفة' من صفحات الجنس وهي النقيضة الوحيدة لهذه الترجمة قد قدم الكتاب كل  
من :
- ( 1 ) الطائع الحدادي : مسوخات أو تحولات الجشش الذهبي - جريدة الإتحاد الإشتراكي ( المغرب  
الأقصى ) - 15 دجنبر 1991 ص 6 -
- ( ب ) الهادي دانيال : توثيق تراث وثني في سياق الدعوة إلى المسيحية جريدة الأخبار - السبت  
20 ديسمبر 1986 -
- 2- المراجع :
- 1 - محمد فنطر : الحياة الثقافية والفنية بقرطاج مجلة الفكر
- 2 - محمد يعقوب : ' أبو ليوس ' كاتب شمال أفريقي باللغة اللاتينية في القرن الثاني بعد المسيح -  
مجلة الفكر
- 3 - خالد التوموي : رواية لوكيس أبو ليس ، أو حصيلة تحولات الجشش الذهبي ( 3 مقالات )  
العمل - ديسمبر 1986 - ص 12
- 4 - ابراهيم بن مراد وعبد القادر بن هادية : المسوخ ( نقد وتعريب وترجمة ) . مجلة الأتلام

- العراقية عدد 5 - س 12 - شباط 1977 من ص 5 إلى ص 16  
( نشر المترجمان فصلين من رواية المسوخ لأبيلي بمجلة قصص ) = عدد 41 و 42  
جويلية وأكتوبر 1978 - وأعاد نشر الفصلين بمجلة : الحياة الثقافية عدد 3 وعدد 4 س 1  
نوفمبر 1975 وديسمبر 1975 )
- 5 - البشير بن سلامة : استجواب له - جريدة بلادي - ص 23 من 7 إلى 13 مارس 1977  
6 - البشير بن سلامة : تونس والدولة الوطنية مجلة الفكر - س 23 - عدد 7 أبريل 1978 من  
ص 62 إلى ص 65
- 7 - محمد أحمد القابسي : وإذا عادت العقرب ! ( في الصميم ) - بلادي - 24 أكتوبر 1977  
ص 11 [ وهو ردّ متشنج على كتاب البشير بن سلامة : الشخصية التونسية ومقوماتها ]
- 8 - الشاذلي القليبي : أهدافنا تتلخص في إحياء الذاتية التونسية ( في مجلس الأمة ) الخميس  
5 ماي 1977 - ص 16
- 9 - الحبيب الجحاني : الثقافة العربية المعاصرة ومصير الوطن العربي - الصباح - الخميس  
31 أوت 1978 صفحة فكر وفن
- 10 - أحمد الحمروني : مدخل إلى علم النفس التحليلي تلخيص وتقديم بحث نهاد خياطة بمجلة  
المعرفة السورية عدد جوان 1978 - مجلة الإذاعة والثقافة التونسية
- 11 - البشير بن سلامة : التفاعل بين الحضارتين البربرية والعربية ( مع رأيه في اللغة  
الفصحى واللهجة العامية ) - الفكر - فيفري 1978 ص 127
- 12 - حسين فنطر : قضايا تعريب التاريخ القديم بحثاً وتدرّساً ( ملتقى ابن منظور ) بلادي  
الثقافية - أبريل 1978 ص 17 و 18
- 13 - محمد مصمولي : ( مقال له حول الفصحى والعامية ) الفكر - مارس 1978 ص 99
- 14 - محمد اليعلاوي : ( موقف ) 7 - p 12 Novembre 1978 La presse
- 15 - Jaafar Majed La presse litteraire en Tunisie de 1904 q 1955 - 1974  
Publications de l universite de tunis
- حول المباحث -296 a 245 et de 19 - 18 pages voir surtout  
16 - علي حمريت : ( مقال عن محمد البشروش ) - مجلة أعضاء - عدد 2 - نوفمبر 1994  
( بمناسبة خمسينية وفاة البشروش )
- 17 - Henriette Pavis d escurac . Apulee Rheteur Africain de la - 17  
province romaine . in les affricains n 52 - edition jeune afrique  
paris 1977  
p46 a 73
- هذا المقال كان هو المصدر الأساسي لدراسة الأستاذ د . عمّار المحجوبي التي نشرها عن  
أبيلي بدائرة المعارف التونسية الكراس عدد 2 - 1991 - من ص 10 إلى ص 21

- andre mandouse saint augustin in les africains edition jeune - 18  
afrique .....
- pierre villemain confessions de numida l inno.,ee de saint au- - 19  
gustin  
Editions de paris . 1957 - paris - 257 pages
- Henri Marrou saint augustin et l augustinisme - 20  
Edit du seuil les maitres spirituels - 1955 et 1962 - 192 pages
- H . petit mangin histoire sommaire illustree de la litterature - 21  
grecque j de gigord editeur Paris 1936 - 176 pages
- H petit mangin histoire sommaire illustree de la litterature - 22  
latine  
j de gigord editeur paris 1936 - 200 pages
- G . Hacquard j Dautry et o Maisani Guide romain antique - 23  
classiques Hachette Paris - 1952 - 1964 - 225 pages

#### الهوامش :

- 1 - نشأة المذاهب واختلافها ( في المسيحية ) لابننا نريد الآن دراسة هاته المذاهب وذلك ما سنفرد له فصلا آخر إن شاء الله ) ( ص 277 ) = كتاب سلامة )
- 2 - انظر مقال البشروش : وجوب العناية بتاريخنا ( سلامة ص 382 - 383 )  
الزهرة عدد 10557 ص 58 - 1 ماي 1944 وفيه تنويه ب Monceaux في الذكرى  
الثالثة لوفاته ( 1941 )
- 3 - كما ترجم كتابات مشاهير المؤرخين والجغرافيين اليونان واللاتين عن ليبيا القديمة
- 4 - كان البشروش قد ألقى على أمواج الأثير ، الإذاعة التونسية سلسلة حلقات حول نفس  
الموضوع : الأدب التونسي قبل الإسلام قبل أن ينتشرها بالعالم الأدبي وبالزمان ( أنظر :  
سلامة ص 55 )
- 5 - لمزيد التدقيق ، أنظر مأخذ محمد الهادي المطوي واستدراكاته حول كتاب عبد الحميد  
سلامة مجلة الحياة الثقافية سنة 1982 حول كتاب محمد البشروش حياته وأثاره من ص  
106 إلى 113 .

## خصائص النقد الأدبي في كتاب "الشعر والشعريه" للدكتور : محمد لطفي اليوسفي

بقلم : عبد المجيد البراهمي

يتميز النقد الأدبي في واقعنا الفكري بالفجاجة والسطحية والبرودة سواء كان الإبداع حاضرا أو متغيبا على مستوى التأليف . فالتفكير النقدي لم يرق برقي القيمة الفنية للإنتاج الأدبي ليعكس حالة الثقافة وتطورها وتنوعها للجمال وحبنا المتنامي للإبداع . فالسمة البارزة في ميدان النقد الأدبي هي الإنقسام والإنتكاس والتكس وهذه نتيجة طبيعية أمام ما ينتج من تواليف تتصف بالرتابة والإجترار الملل والإقتباس يقابلها تقليد فوضى المفاهيم النقدية الحديثة ، تقرأ فلا تحسّ بإبداع وتجديد يستفز أفكارك ويدغدغ عقلك .

لم نكسب بعد ما يسمّى بالخبرة الجمالية للعمل الفني ولم نبلغ بعد مستوى وعي عقلاني بذات الموضوع الأدبي والإحساس المرفه بحيز الصور الجمالية لإبراز عناصر هامة في الكتابة الأدبية وهي :

http://Archivebeta.Sa القيمة المعرفية للأدب

- بعد النظرة والإبداع المبرز للمتعة واللذة ،

- الوعي بتقدير قيمة الجمال ،

- والأسس المعرفية بمدارس النقد القديمة والحديثة ، وكيفية تطبيقها ،

هذا الوضع لا يعني إطلاقا خلو الساحة الأدبية في تونس من المفكرين والنقاد بل هناك من يؤسس لمدرسة نقدية في مجال الأدب أخصّ منهم بالذكر السادة : رشيد الزوادي وتوفيق بكار وأبو زيّان السعدي ود . محمد لطفي اليوسفي ، وقد تميّز هذا الأخير بتأصيل الكتابة النقدية حيث تمثّل في كتابه « الشعر والشعريه » أصالة منطق الشعر من أين وكيف يأتي الشعر فإذا به يتفحص ذلك الجسد من كلّ جانب فيتحاشى بقدر الإمكان الوقوع في السرد الوصفي والتّعليق وإنّما يحاول الكشف عن مواطن الإبداع وكيف يتولّد في أدب الشاعر وأين تكمن « سرّ قوة النصّ الشعري » ( 1 ) .

وحتى يؤمك نقدا أدبيا ذا أهمية ( فنية ) إنطلق من طرح السؤال التالي وأبدع في الإجابة عليه : ما الداعي لاعتماد النقاد العرب مفاهيم ومصطلحات مستحدثة في النقد الأوروبي الحديث ؟ مفاهيم « أضمرت » و « هوت » ( 2 ) . فكأنما يريد أن يقول بأن النقاد العرب تبثوا تلك المفاهيم واستعملوا تلك المصطلحات دون أن يطوروها وبالتالي فهم يظلمون الأدب العربي ، ويضعون « فوضى عارمة بلغت المنتهى » ( 3 ) ، وحتى لا يقع بنفسه في نفس الجدل الهامشي مثلهم اندس وغاص في عمق الشعر ومفهوم الشعرية وبرهن بقوة أنه يجيد الغوص بأداة منهجية عربية حقّة . كما سنحاول التعبير عنها - بحيث لم يسبقه لها ناقد عربيّ معاصر ، وحتى يؤمك لنقد عربيّ إستغلّ وبصفة إيجابية تجربة العرب القدامى الرواد في ترجمتهم واستقراراتهم لأدب الإغريق كما فعل الفيلسوف العربي متى بن يونس ( توفي ببغداد في 328 هـ 940 م ) في نقله عن اليونانية لكتاب الشعر لأرسطوطاليس ، وأعتقد أنه محقّ تماما فيما ذهب إليه خصوصا وأننا لم نقدّر تلك المنهجية الإستقرائية حقّ قدرها بل نحاول عبثا تجنّب ما عزم عليه الدكتور اليوسفي من أسلوبية البحث والإستقراء خشية التيه في مطبات الكتابة النقدية وبالتالي الوقوع في المناسخة أو الترجمة أو الإقتباس الخالي من الإضافة ، ويحقّ علينا حينئذ قول الفيلسوف الألماني ميشليه ، كارل لود : « ما زاد العرب والسكولائيين على أن تبثوا أفكار أرسطو بدون أن يطوروها ... وكثيرا ما أساءوا فهمها بل حرقوها » . ( 4 )

إنّ ما دأب عيه مفكرونا العرب الأوائل من خلال غوصهم في ترجمة التراث اليوناني هو العمل نفسه الذي سلكه المستشرقون بنورهم في ترجمتهم ونقلهم للمخطوطات الأدبية العربية فكان أحيانا الإبداع والإمتاع مثلما فعل آدم ميتز وكارل بروكلمان وغيرهم كثر وهو ما أكده الدكتور نجيب العقيقي في موسوعته « المستشرقون » .

#### منهجيّة في البحث :

— ماذا يعني بأصول النظرية العربية في أدب النقد ؟

( أ ) بديهيّ في الشعر كما في سائر الفنون لم يكن أحد يجرأ أن يدعي لنفسه

الخلق والإبداع المتكامل من حيث أسسه المنطقية والنظرية والاستمولوجية . وإنما جاءت إلى جانب كل علم وفنٍ وخصوصاً في بدايات نحتة ، استقرارات لإشارات وملاحح لنظريات موضوعة يعمل بعض ممّن يتلقاها عن وعي عقلاني على فهمها وبالتالي استكشاف أسسها المنطقية والنظرية والإستمولوجية عن طريق مذهب الإسقراء ( الأرسطوطاليسي ) الذي اعتمد فيما اعتمد الملاحظة والتّجربة والإستنتاج .

ب ) فعلميّة الإسقراء تكون بمشاهدة سير الظاهرة وكيف تنتقل من وضع خاص إلى وضع عام بكشف أسبابها وعلاقاتها العضوية ، فتحلّ فيها التجربة والإكتشاف ، وما بين الملاحظة والتّجربة لا بدّ أن يكون هناك دليل يربط بينهما وقد تكون النتيجة غير موفقة تماماً إذا كان بالمقابل العامل في حقل النقد الأدبي غير مستوعب لكلّ الملاحظات ولكلّ مواطن التجربة والمقارنة أو التناظر ، لأنّ الإسقراء كمذهب فلسفي - كما ذهب إلى ذلك أرسطوطاليس وهيوم ورسك وغيرهم - يستعمل فيه الإستدلال العقلي خارج الشكّ والإحتمالات والتجريبية والترجيحية حتّى لا ينتهي المتأمل عن طريق هذا المذهب ( الإستقرائي ) إلى إفتراضات تكون بطبيعة الحال خارج إطار المنطق العلمي الفلسفي . ومن هنا لا بدّ من طرح السؤال التّالي عن مدى علاقة الإسقراء في منهجية البحث لاستئصال البعد المعرفي للنظرية العربية في النّقد الأدبي لدى الدكتور محمد . لطفي اليوسفي وهو يضع كتابه « الشعر والشعرية » ؟ .

ج ) محسّ بخطورة فنّ الكتابة النقدية جاء كتابه ' الشعر والشعرية ' مداداً من الكلمات ليس فيها اغتصاب لمعنى غير معناها الأصيل كما كانت فقراته إغاصة تلو الإغاصة في التّأصيل فافهمنا أنّ كلّ شاعر لم تجتمع فيه كلّ معايير الإبداع والشّمولية ليصبح فذاً مطلقاً وإنّما قد يكون تميّز بقوة صياغته لشعريته في مجال ما كالحرب أو الخمریات أو التشبيب ... فكان تفوّقه في ذلك على حساب غيره ليس إلّا وبالتالي فلا وجود لشاعر متفوّق على الإطلاق في كلّ تلك الأغراض الشعريّة على من سواه على قدم المساواة حتّى نطلق عليه لقب « أمير الشعراء » لأجل بيت شعريّ ما قاله ..



د ) وعلى الرغم من ذلك كانت ولا تزال وظيفة الشاعر في غاية من الخطورة فإلى أي شيء أرجع العرب شاعرية الشاعر ؟ وإلى أي مدى بلغ الوعي بتقييم الشعر والشعراء لدى النقاد ؟

للإجابة عن هذين السؤالين ركّز الدكتور اليوسفي في دراسته للشعر والشعرية على تحليل ظاهرة الشاعر في المجتمع العربي من ناحية ومن أن توجه النقد - إنطباعي ذوقي - لا يتجاوز ذلك لينغمس في الفوضائية من جهة أخرى ، وطبيعي جداً أن من لا يجيد تطبيق المنطق الإستقرائي ينتهي في - جميع الحالات إلى >> مجرد إستعمال نقد جزئي عاجز عن تأسيس الثوابت النظرية الصارمة وتأسيسها >> ( 5 ) .

للمهنة على موقفه ذلك استدلل اليوسفي بموقف تودوروف الذي قال : >> لقد ترك لنا أرسطو أول كتاب منهجي وليس هناك أي نص آخر يمكن أن يقارن بكتاب فن الشعر نظراً لقيمته التاريخية ، وبشكل من الأشكال فإن كل تاريخ الدراسات الشعرية ليس سوى إعادة تأويل للنص الأرسطي >> ( 6 ) .

إن تطبيق المنهج الإستقرائي عند أرسطو بالإعتماد على ثنائية ( الإستنباط / الإستقراء ) في الجانب الشعري وبعتماد اللغة ( الكلمة ) كمكون أساسي للتعبير والإبداع يبقى إذا لم يسقط في الميثيولوجية أحسن وسيلة نقدية لحد الآن لأن أرسطو يعتبر : أستاذ الفكر النقدي وثمره تأمل وثيد ومجد ( 7 ) . على حد تعبير د . جورج طرابيشي بقيت أراؤه هي الأقرب تبياناً والأكثر صواباً لفهم النص وتحليله بصفة علمية وموضوعية .

هـ ) فالنص الشعري يختلف عن سائر النصوص في اللغة إذ له خصوصياته التي تتميز بالتشكل الموحد بين ألفاظه أي أن هناك تلاحم بين الملكة الشعرية والكلمة التي تليها لفظاً ومعنى كما سمّاها اليوسفي >> بالمشكلة >> على أنها >> الدعامة المركزية التي ينهض عليها الإبداع >> ( 8 ) . ثم تناول مسألة رئيسية في صناعة الشعر ينطلق منها وهي الطبع ، فالطبع هو قطب الرّحى وهو >> المولد المركزي >> والشعر هو انشغال يحصل فيه تزواج بين حضور الملكة والكلمة تسعفهما الدربة على صناعة الشعر واستعمال أدواته النظامية وأعتقد أنه محق

تماما فيما ذهب إليه لأنَّ الإنسان ( الشاعر ) لا تكفيه المثاقفة الشعرية إذا لم يكن هو بالأساس موهوبا أي أنَّ طبعه جبل على نظم الشعر وأضافت له الدربة وقانون المشاكلة زادا معرفيا لتتكوَّن لديه في النَّهاية ما يسمَّى بالشاعرية فتكون لحظة الوعي الخطيرة التي « تجعل من الكلام شعرا معنى ذلك أنَّ الكتابة تتشكَّل منشغلة بالشَّعر تحاصرها وتنتظر لها » ( 9 ) فإذا بالفكرة والقرينة والإيقاع اجتمعوا في خيال الشَّاعر ووجدانه في « لحظة المكاشفة الشعرية » ( 10 ) وهي لحظة متميِّزة منفردة ، أنَّها « لحظة الميلاد العظيم » ( 11 ) .

و ) وقد اعتمد في كتابة الشعر و الشعرية على وضع رسوم وبيانات وأشكال كما كان يفعل الفلاسفة العرب مثل الكندي والفارابي وابن سينا ... ومعلوم أنَّ الشكل في علاقته بالفلسفة هو « التنظيم الداخلي والتركيب المحدد للعمل الفني الذي يخلق عن طريق وسائط فنيَّة للتعبير عن الغرض من كشف وتصوير للمضمون » ( 12 ) . وهذه الرُّسوم والأشكال هي أيضا وسائط التعبير الفنيَّة تدخل فيها : « الكلمة ، القافية ، الإيقاع ، تنغيم الصَّوت ، الهرموني ، اللون ، الخط ، الرِّسم ، الخ . » ( 13 ) . ففي كتاب الشَّعر والشَّعرية استعمل اليوسفي اثني عشر رسما بيانياً أي بحساب رسم واحد مقابل ثمانية عناصر من الموضوع العام للمؤلَّف . وهذا النمط من التعبير هو نفس الأسلوب الذي صاغه « أرسطو بطريقة منهجيَّة كنسق منطقيّ شكليّ فيضفي عليه تماما طابع البديهيات ويبرهن على اتساقه واكتماله وقدرته على التقرير » ( 14 ) .

ولم يخرج إطلاقا عن دائرة التأسيس في التعريف بأصول النظرية العربية في أدب النُّقد بالرجوع إلى أعمال أولئك الذين ساهموا في وضع المواد الأولية لتلك النظرية مستدلاً في عديد من هوامش كتابه إلى جانب المرجع الأساسي الذي هو كتاب أرسطو في الشَّعر إلى البيان والتبيين للجاحظ والتعريفات للجرجاني ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي حازم القرطاجنيّ وفحول الشُّعراء للإصمعيّ والشُّعراء لابن قتيبة وترتفع القائمة إلى ما يناهز الخمسة والأربعين مرجعا عربياً كتبوا منذ ألف عام تقريبا .

مقارنة:

لو قارنّا كتاب الشّعر والشّعريّة بكتاب الثّابت والمتحوّل لأدونيس ، وعلى الرّغم من القيمة الفنيّة لهذا الأخير ، والمقارنة هنا هي مجرد ملامسة سطحيّة ليس إلّا فالقارئ المتفحص في الكتابين يتضح له بصفة جليّة من أنّ اليوسفي يفرّغ بك إلى عالم النّقد بل ويضع بين يديك نتاجاً أدبيّاً فلسفيّاً واضح المعالم بخلاف أدونيس يحوم ويتأرجح بالقارئ كأنّما يقوده معصّب العينين إلى مكان مجهول حتّى لا يرى إلّا ما يراه أدونيس وحده ولعلّ هذا ما رسخ في ذهن العارفين بالأدب بأنّ أدونيس عرف بالشّاعر وليس بالنّاقّد ١٩ .

ويمكن القول بأنّ الدكتور اليوسفي في مصاف النّقاد الكبار أمثال توفيق بكار وهاشم صالح ... فالشعر والشّعريّة يوحي للقارئ بأنّه يمكن له أن يستقي أغراضه في فهم النّقد وخصائصه ومرجعياته في أصول النّظريّة العربيّة وعلاقاتها بفلسفة الإستقراء الأرسططاليسية . ويأنّ العرب الأوائل هم بناء النّقد الأصيل وهو ما عناه السيّد صدوق نور الدين بقوله « بداية فإنّ تعاملنا مع التّراث العربيّ يأتي متأخراً وفي إتجاه معاكس للمأمول ... فالأصل في كلّ عملية فكريّة أو تعليميّة الإفتتاح على الأصول بهدف الإحاطة والإلمام بها ، وهو مسلك الغرب الذي بنى عليه إبداعاته ونظريّاته في المعرفة والعلوم الإنسانيّة ( ١٥ ) »

فالشّعر والشّعريّة وإنّ خصّصه مؤلّفه للحديث عن فلسفة نقد الشّعر والشّعريّة والتداخل العضوي المتشاكل بين الصفتين إذ لا شعر دون شعريّة ولا شعريّة دون شعر وأنّ الإبداع لا يأتي إلّا إذا حصل ارتباط وثيق بين دقائق وتفاسيل اللّحظة الشعريّة أو لحظة المكاشفة الشعريّة التي هي بمثابة ( الوحي ) أو الإلهام .

فسيبقى « الشعر والشّعريّة » نموذجاً علمياً يشري المكتبة الأدبيّة العربيّة وسيعرف أدباؤنا النّاشئون على وجه الخصوص أنّهم في حاجة ماسة للغوص في أعماقه أيّما غوص ثمّ الخروج إلى السّطح حاملين تأشيرة الدّخول إلى عالم الأدب .

#### المراجع :

- ١ - د . محمد لطفي اليوسفي : الشعر والشّعريّة - ط ١ الدار العربيّة للكتاب - 1992 ص 8
- ٢ - المرجع السابق ص 8
- ٣ - المرجع السابق ص 16

- 4- معجم الفلاسفة ص 52 اعداد د . جورج طرابيشي ط / دار الطليعة ( التعريف بأرسطو )
- 5- « الشعر والشعرية » ص 24
- 6- المرجع السابق ص 10
- 7- من معجم الفلاسفة ( م 4 ) ص 47
- 8- من « الشعر والشعرية » ص 31
- 9- المرجع السابق ص 40
- 10- « لحظة المكافحة الشعرية » عنوان لكتاب ألفه الد . محمد لطفي اليوسفي
- 11- « لحظة الميلاد العظيم » : عبارة وردت في كتاب الشعر والشعرية
- 12- الموسوعة الفلسفية ، وهي من وضع لجنة من العلماء الاكاديميين السوفييات ص 356
- 13- ص 356 المرجع السابق في باب تعريف الفن ، المضمون والشكل .
- 14- المرجع السابق في التعريف بنظرية الاستدلال ص 379 - 380
- 15- من مجلة قراءات معاصرة العدد 23 السنة 1995 من مقال بعنوان «الإبداع سؤال في الحداثة » بقلم صدوق نورالدين من المغرب . ص 95



ARCHIVE

إن الهدف من الشعر ليس الصور ، بل معرفة انعالم  
والعلاقات التي تربط بين الناس ، ومعرفة الذات ، وتطور  
الشخصية الإنسانية في عملية التقدم والاتصال الإجتماعي .  
وفي النتيجة النهائية يتفق مطلب الشعر مع مطلب الثقافة  
ككل ، غير أن الشعر يحقق هذا المطلب بصورة نوعية ،  
ويستحيل فهم طبيعته الخاصة إذا تجاهل المرء آليته وبنيته  
الداخلية . ولا تنكشف هذه الآلية إلا حينما تدخل في صراع  
مع الضبط الذاتي للغة .

لوري لوتمان

( تحليل النص الشعري )

## المرأة والزمن والبطل النرجسي في مجموعة ( السومري ) لعبد الرحمان مجيد الربيعي

بقلم : د . نجم عبد الله كاظم  
كلية الآداب . جامعة بفسداد

« كُسيَتْ المدينة بلون رمادي شاحب فبدت وكأنّها مُشَيَّدة من الرمل ، حتى خضرة سعف النخيل فقدتْ نضارتها من حدة لفح الشمس وتراكم الغبار الذي تجرفه الريح من المساحات الشاسعة الخالية من أي زرع والتي تسوّر المدينة من جهاتها الأربع » ص(5) .

إذا لم تكن هذه الأسطر التي يفتتح بها عبد الرحمان مجيد الربيعي مجموعته القصصية ( السومري ) لتذكّرنا بالكاتب ، فإنّها بالتأكيد تثير أكثر من وشيجة بكتابات وكتابات جيله عموماً ، في وصفيّتها مثلاً وفي تعاملها مع مدينة العصر ، وفي تصوير عالمها من خلال عيني البطل المثقف المازوم . والواقع أن مثل هذا لا يتمثل في هذه الأسطر ولا في القصة الأولى ( هناك في تلك المدينة ) فحسب ، بل وفي عموم قصص مجموعة الربيعي الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد في نهاية السنة 1993 ، وتضمّ ثلاث عشرة قصة وثماني قصص قصيرة جداً أسماها ( أقاصيص ) ، وإذا ما كانت هذه الملاحظة لتعني ظاهرياً تشخيص سلبية فإنّها تنطوي أيضاً على إيجابية التآق الفنّي الذي عكسه الكاتب في السابق ، وخبرة التعامل مع مدينة العصر وعموم أنسانها ، خصوصاً أن المدينة هي محور رئيسي ضمن اهتمامات الربيعي الدائمة ، كما في قصة ( هناك في تلك المدينة ) التي يتناول المدينة فيها من خلال غربة البطل عنها واللفة التي تستثيرها فيه واستهجانه ملامح التغيير فيها التي تبدّله سلبية ، وقصة ( السومري ) التي تكون المدينة فيها همّ البطل أو سبب همومه ، و ( الباب والوصية ) التي تعكس آثار الحرب عليها . وترسّخ الغربة عند الربيعي هذه الصّلة غير الاعتيادية بين أنسانه ومدينته ، فأهّ يكون هذا الإنسان بعيداً عن المدينة لسنوات لم يكن ليعني نسيانه لها بقدر ما يعني تأجيج صلته بها لتظهر هذه الصلة واضحة وفاعلة بمجرد

أن يعود إليها :

» في مدخل السوق لفتت نظري قطعة كبيرة سوداء (الشهيد المقاتل) محمود حسان الظاهر استشهد في قاطع البصرة بتاريخ 22 7 - 1987 وتوقفت عند الإسم إسم الوالد بالذات ، فقد كان زميلي في المرحلة المتوسطة « ص 10 .

وربما لهذا كان تعامل الربيعي مع نوع معين من النماذج الإنسانية ، وبالتحديد المثقفين الذين للمدينة ، لسبب أو لآخر ، تأثير عميق فيهم ، مثل الصحفي والفنان ، كما في ( نهار عراقي ) ، والشاعر والناقد والأستاذ الجامعي كما في ( البرتقالة ) . ولأن هذه القصص تتعامل مع هذه الفئة الإنسانية التي يعرفها الكاتب أكثر من أية فئات أخرى من الناس ، فإننا نحسها - نعني القصص - تخرج من صميم وصدق تجربته حتى وإن لم تكن هي من تجاربه الحقيقية فعلا . ولحساسية المثقف من الزمن ، ولأن المثقف هو بطل الربيعي دائما ، فإن الزمن قد يلعب دورا حيويا في صياغة علاقة هذا البطل بالمدينة ، وهو دور تقني ودلالي يؤدي في النهاية ، وفي الغالب ، إلى أن تبني القصة على التنقل بين زمني الماضي والحاضر ، خاصة عبر تقنية الارتجاع والاسترجاع ( الفلاش باك ) كواحدة من تقنيات تيار الوعي الذي شغف به الربيعي منذ وقت مبكر . وقد تقوم على ذكريات لها أهمية للبطل إذ تعيده إلى حيث له قصة ما في مدينته التي يكون غالبا قد فارقها من مدة وعاد إليها ، كما في قصة ( شيء من هذا القبيل ) ، التي هي استذكارات تتحرك أمواجه في استجابة بطلها للقائه بصديق وزميل دراسة بعد فراق طويل . وتعلقا بالزمن وبيئات القصص ، وإذ نعرف عن الربيعي تجديده وتآلق تقنياته في الستينات والسبعينات ، فإننا لا نرصد في قصص هذه المجموعة - في هذا الجانب - ما يضيف إلى ما سبق ونعتقد أن من مسببات هذا التصور - إذا جاز لنا عدّه قصورا - أن الكاتب لا يلجأ عادة إلى الوسيلة التقنية أو إلى مستويات معينة من السرد ، ولا حتى إلى الحدث انطلاقا من الحاجة والضرورة الفنية أو السردية أو الموضوعية ، بل هو يفعل ذلك من منطلق ميل ذاتي مجرد ، فهو حين يستخدم ضمير الغائب وضمير المتكلم ، أو حين يجمع بينهما في قصة واحدة ، مثلا ، فإنه لا يمنح القصة في أي من تلك الاستخدامات بعدا أو جمالية لا يمنحها الاستخدام الآخر ، فنحن لا نجد

في قصة ( أحران ) ، على سبيل المثال ، فرقا في الدلالة أو المعنى أو قوة التأثير بين تقديم الحدث أو الموضوع أو الشخصية من خلال الحوار ، وتقديمها من خلال القص بصيغة ضمير الغائب أو المتكلم ، وبالتالي فإنَّ التقليل بين ضميري الرد يفقد في هذه القصة أي مبرر .

إنَّ الإمتداد الزمني المتمثل في وقوع الأحداث غالبا بين زمنين ، قد صبغ عوالم الربيعي وشخصياته بالتغيير من زاوية ما يشكّله هذا التغيير من مبعث أسمى ومعاناة وهموم لإنسان القصة ، كما هو فعلا للإنسان في الحياة وللإنسان العربي المعاصر بالتحديد الذي هو مصدر نماذج الربيعي في قصصه ... « وقف خالد قرب عمود الكهرباء مجيلا نظره في المكان محاولا أن يستجمع ما بقي في ذاكرته منه ولكنّه لم يستطع أن يلتقط شيئا ، كان كلّ شيء قد تغيّر ، هدّت بيوتنا وشيدّ غيرها ، كما بنيت دكاكين جديدة سيطرت على بقية الواجهات » ص 5 - و « هذا الرجل الذي يضعه على رأسه غطاء سميكا ولفّ جسمه بروب يبدو عليه القدم إتقاء من البرد ... كان في يوم مضى شيئا آخر ، كان أنيقا ومتعظرا ومتنفذا ... ولا أحد يقول له : « لا بالتأكيد قد مرّت به سنوات لاحقة سمع فيها كلمة - لا - كثيرا وحتى من أفواه الذين كانوا يقولون له نعم » ص 106 - ولهذا نجد مفهوما أن يصرخ بطلا ( هناك في كل المدينة ) لاعتنا : « قاتل الله الزمن إنّه أكبر عتو للإنسان » - ص 13 - ولأنّ الزمن سبب في أزمة الإنسان وهمة كما هو كذلك للمبدع المزهف الحسّ عادة ، فقد كان طبيعيا أن لعب دورا فاعلا في قصص الربيعي ، وإن كان بذاته موضوعا من موضوعات قصص المجموعة بين أيدينا ، بل ولعب دورا في معالجة الموضوعات الأخرى ، خاصة من خلال شدّ أبطالها إلى زمنين أو إلى شيئين أو شخصين ينتميان إلى ذينك الزمنين ، وغالبا أنّ ذلك عبر علاقة البطل رجلا بالمرأة .

إنَّ القارئ ليلمح بسهولة وتسليم غير متردد أنّ المرأة بالذات تشكّل محور أو مركز القصّة الربيعية ، وهو ما يبدو واضحا أنّه ينطبق على عموم قصص الكاتب وليس قصص المجموعة فقط ، معاً يعني ضمنا وتبعاً لذلك أنّها همّ الكاتب وموضع عنايته . إنّ ذلك كلّهُ ليبسوا ظاهريا صحيحا ، لكن بشيء من التأمّل والتأمل

والإستقراء التحليلي لقصص أي مجموعة كتبها طيلة مسيرته الإبداعية ، ينكشف لنا غير ذلك تماما ، إذ يظهر لنا واضحا أيضا أَنَّ الرَّجُل هو محور القصة الرَّيِّعية ، ويكون ذلك مفهوما إذا ما عرفنا أَنَّ بطل الرَّيِّيعي نرجسي لا يرتضي ، إنطلاقا من نرجسيته هذه ، إلاَّ أَن يكون في مركز القصة ومركز إهتمام الكاتب ، خصوصا أَنَّ هذه النرجسية لابدَّ أَن تكون من نرجسية من كان وراءها سواء أكان المؤلف أم غيره . أمَّا المرأة فَإِنَّ هي إلاَّ أداة أو همٌّ من هموم البطل أو المؤلف ، تكبر أهميتها أو تصغر تبعاً لما تآديه من وظيفة رسم شخصية البطل - الرَّجُل ونفخه أو محاولة تحجيمه ، ومن هنا نستطيع أَن نفهم أَن تكون المرأة سهلة الوقوع في غرام الرَّجُل وفي الإستجابة لدعواته الشبقية ، كما في قصة ( السومري ) ، أو في حبه القلبي ، كما في قصة ( أحزان ) خصوصا أَنَّ بطل الرَّيِّيعي في سفر أو ترحال دائمين ، يجعل العلاقات هامشية ، ولا تكون المرأة فيها إلاَّ أداة كما قلنا لخدمة شخصية البطل في حله أو مروره لهذا المكان أو ذاك ، أو وسيلة وقتية أو دائمية - بحدود إمتداد القصة - لا إشباع غروره ، هي باختصار لا تؤدي من دور غير التعبد في معبد الرَّجُل ، فكان مألُوفاً جداً كلام الذي تقوله ( هي ) له في قصة ( أحزان ) مثلاً : « كم أنت قوي ! أستطيع أَن ألقى عليك بكل ثقلِي وأناَم بين يديك مطمئنة ، منذ أَن عرفتكَ لم أجد شيئاً عصياً عليك ، كل الأشياء في متناولكَ ، أيَّ رجل أنت ؟ أي حبيب ؟ ص 79 نقول ذلك رغم ما قد يبديه المؤلف بشكل مباشر أو عبر راويه أو بطله من محاولة إظهار هذه العلاقة على أَنَّها عميقة ، ويبقى صحيحاً أيضاً القول أَنَّ المرأة والحبَّ هما شاغلا الكاتب ، كما هما شاغلا أبطاله . ولذا فقد كان هناك غالب رجل وامرأة ، وهو وهي وعاشق ومعتشوق ... كما في قصص ( امرأة تغرق : رجل ) و ( ثلاث بطات من الكريستال ) و ( وجه ما لمرأة ما ) .

لا يقلل من مركزية هذه الموضوعات المحدودة أَن تكون هناك قصصتان أو ثلاث من المجموعة موضوعاتها قد تبدو بعيدة عنها كالحرب كما في ( هناك في تلك المدينة ) و ( الباب والوصية ) ، والثقافة والمثقفين كما في ( دليل الحيران في طالع الإنسان ) و ( قراءة في تاريخ لوحة ) ، وهموم الإنسان اليومية كما في ( الباب والوصية ) و ( ثلاث بطات من الكريستال ) وفلسفة الحياة كما في ( التي لا تعرف ... الذي لا



يعرف ) .

على أية حال ما كان ليعني اختلاف الموضوعات تأثيراً في الجانب الفني لو أن الكاتب استعد كان قد عرض ذلك كله – ما دام يكتب قصصاً – من خلال الأحداث وتطورها ، ولكن ذلك لم يتحقق غالباً ، فكان أن طرح أحياناً فكره أو موضوعاته رويداً يعني كثيراً بإطارها الدرامي ولكن كان ممكناً لبعض تلك الفكر لطبيعتها التي تتيح للقاص عرضها 2 والموضوعات أن تتجنب التأثير السلبي لذلك الإنسان حالات ومواقف ، مثل موضوعات هموم الإنسان اليومية وبعض تازّعات المثقفين ، وهذا ما كان فعلاً إذ استطاعت قصص أن تخرج من دائرة الضعف رغم ضعف الجانب الدرامي فيها ، بل وتميّز بعضها بفعل جمالية تعامل الكاتب مع موضوعاتها وبث الحياة في شخصياتها وعرض ذلك كله بلغة خاصة مثل ( البرتقالة ) و ( الكاستيل ) ، وغيرها ..

بقي أن نقول في كلمة أخيرة وجهة نظر مبنية على نظرة استقرائية خاصة ، بأننا إذ كنّا نأخذ على الكاتب بقاءه أسير أفقيته في بعض القصص ، فإننا يجب أن ننبت أيضاً أن تجاوزه للأفقية في قصص أخرى وخصوصية موضوعاتها وصّب ذلك كله في قوالب تصوغها لغة متماسكة يتقرّد الربيعي في شاعريتها غير المثقلة على القصة قد منح مجموعته القصصية التي بين أيدينا هوية المجموعة الجيدة ، وتميّز بعض قصصها لتسجّل مؤشرات استمرارها استمرارية الحياة في شخصية الكاتب الفنية التي كنّا نخشى أن تبتلعها هموم غير الهم الفني ، مثل ( هناك في تلك المدينة ) و ( البرتقالة ) و ( السومري ) و ( الكاستيل ) و ( دموع ) ، وهذا كله يندرج في دواخلنا ركود التسليم باستسلامية الربيعي لنمطية معينة في الكتابة ما هي مما يبعث الحياة في الفن القصصي ، وعسى أن يكون مبعث تفاؤلنا هذا هو وراء فن حي قادم للكاتب ، ولا أظننا ننتظر أمراً بعيد المنال ما دام الربيعي سيُبقي على الكتابة هماً ومعاناة وحياة ، وليس مهنة أو هواية أو اعتياداً مجرداً .

---

(\*) السومري ( قصص ) لعبد الرحمان مجيد الربيعي – منشورات دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1993 وقد فازت بجائزة أفضل مجموعة قصصية صدرت في العراق عام 1993 .

## خفق الروى

شعر : الهادي العبدلي

كلمى حروفي ليتهما تتكلم  
حتى متى أبصرتها تتكلم  
أبصرت خفقا للرؤى في مهجتي  
وعلى شفاهي المطبقات تظلم  
من دمع هاتيك الجفون رسمتها  
ودماء جرح نازف يتألم  
وكثير صبر ملّني والفتنه  
وصروف دهر مدبر يتظلم  
عاجت على قلبي الشقيّ تسوسه  
لما رمانى في الزمان تبرم  
أضمرت حباً من دواعيه الأسى  
فنطقت صمّتا والكلام محرّم  
وكتبت شوقا للمعاني قصّتي  
فكشفت سرّي للحيا تتعلم

## قصائد قصيرة

نمر : رابع المجري

**\*\* وجه**

صباحا

بلا أي وجه أراك

مساء ..

بألف وجه ووجه

فصرت .. كثيرا جدا

ما أحتار

أي الوجوه لك أختار

وأبقي على ماء وجهي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com> **\*\* أمومة**

حين جئت إلى قبرها

أستريح

هزّت الرّوح شهقتها

واحتواني الضريح

**\*\* مرايا**

المرايا التي لم تعد

تتحمل وجهي

أردت تهشيمها

فهشمت وجهي

### \*\* شاعرة

إخفتت ..

خلفت ..

جرحها لبياض الورق

مرة

خلت أدركها

سقط القلب مني

إحترق

### \*\* غريبة

كم الريح تعرف

أني وحيد تماما .. مثلك

والغرفة الضيقة

كم الريح تأنس بي

وتحاول تأخذني من

يدي

إلى المشنقة

### \*\* السكين

تقف السكين

يندهش المذبوح



قالت : ويحي .. ويحي روعي  
غدا تفضحني الروح

## **\*\* شاعر**

شاعريح.. ترق  
لم يعد فيه متسع للنشيد  
لم يعد فيه متسع للقلق

## **\*\* ليلي**

ليلي التي كنّا نحبّ  
ليلي التي كنّا نؤثث قلبها بالياسمين  
ليلي التي قد عاهدت أن لا تخون  
قد أسلمتنا فجأة للذئب  
ثمّ ...  
ثمّ ... أطفأت العيون .



## حكاية لم تكتمل ...

شعر : رياض الميفي

لن أكتب مراسيلي بعد اليوم  
... إليك

فلا السماء تمطر من نهديك  
ولا السنابل تنمو من موضع  
... قدميك ...

لماذا حاصرني الشوق ...  
ورماني عليك ؟

لماذا ؟ والكتاب الذي أقرأ  
كل يوم

باعدت الكلمات فيه بيني وبين  
... شفقتك ... /

لماذا أنت عن أنواري .. بعيدة ؟  
لماذا ؟ وأنا ما عرفت لكتابي نهاية  
فلن تموت الكلمات ، ولن تنتحر  
القصيدة

الحبر في أقداحي .. أسكبه ...  
في أشعار جديدة  
وكتابي لا زالت فيه صفحات عديدة

لن أكتب اليوم فيها ...  
بل سأتفرَّغ لتعلِّم فنَّ القنص



والرَّماية  
... وإن سألَكَ الخَلانَ عَنِّي ..! قولي ..  
لم تكتمل الرواية

# تونس

شعر : عبد الله أبو العباس

وحين جئتها طفلا ظامئ الحب وحدي  
يحيرني هوس النساء والصبايا  
اللواتي افتعلن عيون المها ...  
تيقنت أن التي سرقت أهبة النوم من عيني ،  
وطال من شوقها سهري  
ستتعبني غرام ....

تيقنت أن التي سكنت حروف قصيدي  
وجواني ، ثم تدلت وتغنّجت في صوتها  
اليوم تقتلني صبيبا موغلا في الحب ....



ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اليوم أدميها وتدميني ...  
حين تمزقني تناهيد الكلام  
اليوم صوتها في دمي .. ونوافذي ... ومنافذي ،  
كي يعلمني لغة الحمام  
اليوم ابنها .....

متكأ عليها كأني تهددني  
حين يهجرنني الرفاق  
اليوم يريكني ..... تذكر اسمها والوشاة  
اليوم يتعبني تشتتي في الهوى  
واعتكاف الكلام لها طويلا  
في كهوف القصيدة واللغات  
اليوم أعلنها حكايتي ، وحبييتي ...  
وغدا أموت .....  
وهل في ذلك أمر جناح ؟ .....



# قلبي أنا !

شعر : محمد الدقيسي الصيد

أحب الحب كما أريده أنا

أحبه يوما يوما وكما أشاء

حبي أنا كله أمل ورجاء

أفعل به وفيه ومعه

كل ما أشاء

الحب عندي عمق عميق ...

نفس طويل طويل ...

طويل البقاء

بل نفس

لا ينقطع أبدا

مخلد أبدي

أبي بهاء

بهي البهاء

لا يبدأ بالالف

ولا ينتهي بالياء

إذ الحب عندي وجْدٌ

وجْدٌ وجْدٌ

قبل الحروف

كل الحروف كلها

سواء كانت حُرُوف الهجاء

أو كانت غيرها



## لا صحو حتى انبلاج الصّباح

شعر : وضاح الجبل

عند المساء

إذا استأرض القيم

واصفر بين الرّبي

وجه الفجاج

أزّم كيسسي

وأمضي

مع المتفككات

بين صلصلة الطّين

وارتطام الرّجّاج

ظامىء

أحث الغطى

والريّق

من لبح الأوار

ملح أججاج

أجيل طرفسي

لا أرى غير خراب

وغريان أباديد

تحت وتعلو

نامقة

في فجوة من عجاج

إلى أين؟

تسالني كلّ قبرّة



بسطت من القيفظ  
جناحيها  
في ظلّ حرمل  
ترجمه الرّيح بالبحر  
كلّما زفزفت  
في مقيل النّعاج  
هناك  
بين الوليّين  
في قفرة غبراء  
أحط

من على ظهري  
في ذرى سدره  
قوارير خمر

لها في غبش السّوا في  
خنياء سراج  
ذلك دأبي

كلّ يوم  
لأنسى غربتي  
بين قوم  
كلّما جرحوني  
تداين بقهوة  
مالي سواها علاج  
كم قالوا  
لعنة الله عليه  
أبو مرّة هذا  
عتك زنيّم

نعود بالرحمان منه

ومن شياطين صلبه

لا أذاقه الله

طعم الزواج

ولكم بكيت

وابنة الكرم

تهمس في فمي :

هب أنهم صلبوك

كما صلب المسيح

على تلة اورشليم

فإن لك مني

الف شيطان رجيم

شهب تخط في العتات :

>> لصبحك أيها الشاعر

مهما طال الظلام أنبلاج <<



## عطر الليلة الأخيرة

بقلم : فتحية نصري

دقت نواقيس الخطر .. داهمه شلال من العرق المنتفض نفث دخان سيجارته  
بشفاه محموعة ترتعش .

تسأل في حلق لماذا يكون الشتاء باردا وجافا في مثل هذه الربوع .. للم  
جسده المكبود ونظر من النافذة .. فغرف براحتيه كل الآفات التي قتلها الغروب  
النائي .

استقره دخان السيجارة العابق .. والذي يضوي ألامه ويجرفها بعيدا .  
فتتلاقح كل الصباحات المجنونة وتستمتع بلذة المواقعة المغتصبة لمهاترات شتاء  
أذار ...

يذكر ثغرها الضاحك وقدها المشوق ...  
فما أشد اللحظات قسوة حين تطول مختلة كل عذاباته الآتية .  
يراهما وشعرها النيلي الأسود وقدها المشوق كعود خيزران ... التقاها في بوتقة  
الأحزان فلامسا حلم الطفولة وانسحقا فماتت كل الأزمنة وتناثرت قبيئا على كل  
الشظايا فتتماوج الذكرى ، عادت به الأيام إلى طفله المقتول فيه فحدثه عن انكسار  
الضلوع وانجاس آخر الدماء المتبقية في الشريان .  
اندس بين أضلعه وضعه إليه ليحميه من فجيرة الآتي فخلصه من شتات قيوده  
واستمع إليه في حنوّ ...

كلما مرت من الحارة ينتابه شعور القتل .. فتؤله كل الجراح النازفة ..  
ضمدي الجرح مني أي سائلة وانثري شفاهاك الوردية على كل الربي لتستحيل  
ربيعا .

بللي ريقى بماء من اناك الفخاري لتستحيل حنجرتي إلى عين دافقة .  
أه كم من الأوجاع تمضي ، إلأك تربعت عرشك في القلب فأني صباح يجيء دون  
مرآك .

قدك المرمرى المتمايل يزيدني صباة فأني ربيع دون جمر عينك يا أحلى البنات

مذ عرفها وهو يتمنى أن يسترجع شجاعة أبي زيد الهلالي وكلّ الرجال حتى  
يهمس لها بكلّ أشجانه ولكن يشيع طيفها عنه وتبتلعها الأزقة الضيقة ، فيستسلم  
شراعه الممرّق لموجاته المتمردة لتفضي عليه من السحر الوثني الرافض فتتدافع  
الزوارق باحثة لها عن موانئ جديدة .

فيرحل السنونو ويهجر الخطاف أعشاشه ليستقرّ الصقيع في محارجه .  
يتقلب على « الكنبة » علّه يصيب القليل من النّوم لكن تسربله خصلاتها  
المترامية ، فتداعب جدائل شعرها الفاحم وجهه ليهجره الكرى ويقوده إلى أمواجه  
البعيدة .

سأصارعها وأقبل تراب قدميها المرمية ، سأرسم اسمك - سائلة - بخيوط من  
الحرير وأسلاك من الذهب .

كم تمنيت أن تعمى الأبصار عنك عندما يلامس قدك المخضّب بالحناء - كالتوت  
سوادا - لتدغدغ أناملك وتضمّمها بماء الورد والعطر شاء سأشتري لك حناء قابس  
يا عين الجفاء ..

... يترائى له الصدّ والتمنّع ويشاب السفساري الحرير ليلف شرنقة الجسد البض  
فيلتصق بك ويلامس التقّاح في نهديك  
ومن لغائف دخان سيجارته كأنّه يطارد بقايا الظلال المعتمة ، تنوء به الذكريات  
وتحمّله إلى سحر عينيها كم صعد إلى العلية وراقبها وهي تنزع ثيابها ... يا لتلك  
التقاطيع الإغريقية لتمثال فينيس جسد المرمر هذا ..

لكم عبت غرفتها برائحة البخور فيطويه ويحيله على ميثولوجيا السحر القديم كم  
ذابت تقاطيعي وعينك الفنجة تتقطعني بسيوف الأهداب التي زادها الكحل بوحا  
بالشبقي ... وتجلّت في معاني التمنّع تتعالى الصفعات من والدي على « القفى »  
.. فيستحيل الخد كالجمر ، « يافاسق لا تثمر فيك التربية » أبكي .. وأصرخ ..  
وأصارع الجردان في المخزن .

.. ما ألدّ أن أسجن بقيد من عينيك فأنثري زهور المشمش واللوز في كلّ الرّبي  
لتتلاقح مع زهور الربيع .. فأذكر حين طوّقت أمي معصمك بخيط أحمر وقالت  
ضاحكة : « يا خديجة سائلة للطّاهر ولدي كان عشنا » عجا لقد سمع رقصات

قلبه الواجب نبضا متناغما صارخا في السماء القصية ، يا جمر التفاح أيمكن  
للقدر أن يصافيني أي ليلة - طويلة - هذه بدون جسدك المموم . هناك  
لكم داعبتك تحت شجرة البلوط .. بقلب مترقب وسرقت منك الكعك والمقروض ..  
هل نسيت ؟ حين تعرّينا صغيرين كئنا والفضيحة كانت أكبر من عقلينا الصغيرين  
هناك في قلعة الأخضر

التصقنا وداعبنا الماء فكتبنا كلمات نائية عن عالم الكبار راجعة إلى الآفات  
الصامدة على صفحاته الباهتة .. الرأكة يوما أخرجك عمي الغضباني من الماء  
وركبني ، ثم انهال على تقاسيمك المرمية تجريحا .. وتشويها فمات الوجع وظل أثر  
السيّاط الذي لا يمحي يا .. هذا ما ينقصني ، تتعرين أمام العزرة ...  
فتتكرر السنين وتمضي وسالة الوجع يتدافعان حتى نوى الشريان وانفتح  
الجرح ، ينظر إلى المرأة ليعود ثقيلًا مهزوما .. في كل ليالي الميلاد الثقيلة .. تعرى  
كاشفا عن عوراته فشعر بالإختناق ليجلده الزمان بكل المرايا .

فما أقبح هذا الليل المتسّتر الخائف من رياح أذار شعر بارتعاشة خفيفة فتدثر  
بمعطفه ..

منذ ذلك اليوم وطيفك يلاحقتني ، إذا وجهك الذي أنسابت منه قطع القمر الفضية  
لتستقر على صفحات الماء العذب تلك اللثة الحمراء .

وغمازيتك الساحرة .. فلماذا فصلونا يا آخر الجرح ؟! لماذا دُئسوا طهر الطفولة  
فيها ، وأحرقوا المسافات الباقية من الذكرى

عمي الغضباني لا يحلوه لعب « الخريقة » إلا أمام المنزل وعيناه المتورمتان  
تنذر بالويل والثبور وتتعدان المارة في نزق ، وشغف القلب سالة نوارة الحي سجيئة  
المنزل وممنوعة من العبور .

ليت المسافات الزمنية تجمعك بي لنرحل مع الخطاف والبجع مهاجرين نثنى عنا  
السبل ليت « البرمقلي » - الموحد - ينفث على عوالم جديدة لا يحاصرنا فيها  
الوجع والأحزان

مذ غادرت القرية بأحلام الجامعي وسالة لحظة للجنون الخالد هي لي كل النساء  
« فأي » عضورات الدنيا أو شبق بنات العاصمة لم ينسني هذب الغزال الشارد

في الغيافي وحناء العيد ... وقدك المرمرى جمّع ثيابه المهمله .. مضى إلى المحطة  
يحث الخطى تلفّه الزّغاريد المروية الصاخبة وترانيم الحسون والبلابل .. فترنّح ..  
نشوة اللقاء لا بدّ أن تجمعني بك .

فتمايل جسده الملهب على نغمات عيد الوهّاب وتنساب الكلمات عذبة يا وردة  
الحب الصافي ... لتحيله إلى عاشق للحياة فغنت السنا وردتها كل العصافير ...  
فتذكر صوت أمّه الرخم وهي تغني في الساقية على وقع الضربات المنهالة على  
الصوف والمتناغمة مع نبرات صوتها يا « طير القمرى يا ساكن الأبراج معلّى »  
يجوس به النّظر في الذي يمضي فتدعوه العين إلى عشق حبّات التراب والليل ..  
لا بدّ أن أصارحها يقول ذلك بصوت مرتفع فيضطك الرّجل الذي يقاسمه تقاطيع  
المسافات في القطار ...

تلك الرّياحين التي وأت والسّارية .. وأقصوان الربيع هل يمكن لي أن أجمع منها  
باقية ورد أعرف أنك تحبين الزهور .. ثمّ جسّ بيده قارورة العطر الفرنسية والخاتم  
.. أه يا عودة الأيام .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakila.net>

سأصفيح غضب عمّي وأصريح أنّي أريدها  
سأتلذذ ضربات أبي القاسية ...  
لا بدّ أن تصرّح للجميع بأنّها عشقتني ... هل تذكرت ارتعاشة جسدها المحموم  
بين راحتي ..

ألثم كل الذي تحويه تلك الساحرة ، فتبكي ... لا هل جننت ؟ ثمّ ننخرط في  
حمّى اليأس وتؤب في فناء وننسى أبي وعمّي وكل الذي يجتث مشاعرنا ..  
توارت في السقيفة وهي تسوي شعرها المتناثر  
كان يحثّ الخطى حيث سمع صرخة مزقت سكون الليل فأتّجه إلى دار عمّه وهو  
يمسك قارورة العطر الفرنسي .. فداهمته غصة محموعة وتناثرت قطرات العطر  
على السقيفة ./.



## رجُل أعياها البحث

بقلم : مختار الموضي

\* إلى أعياد الفن والثقافة .

### == المشهد الأول :

مكتبات المدينة ينسج فيها العنكبوت خيوطا مختلفة الطول والشكل ... واجهات المكتبات تصدعت ... عناوين الكتب غطتها الأثرية فتحولت المكتبات إلى مغارات موحشة تعريد في داخلها العناكب والفئران .  
المنقفون صاروا شيئا مختلفا ... نزع كلّ منهم رأسه ووضع بدلا منها رأسا من الطين وحشاه قشا .

### == المشهد الثاني :

مقهى عتيق ... متآكل الطاولات ... مهتريء الكراسي

أنا ...

وهو ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وجماعة من الشباب المثقف .

أنا أشاهد حقائق ... أتأملها في صمت ويدي على قلبي وهو رجل وحيد .. شعره أشعث أغبر ... هيأته مزرية ... يدخن لفافة من التبغ الرديء ... أمامه فنجان من الشاي الأحمر وعلى الطاولة رزمة من الأوراق والمجلات ...

عندما لاحظ مراقبي له قام من مكانه ثم تهاك على الكرسي المهتريء ... أن الكرسي المهتريء لارتطام الكتلة البشرية به أنينا مزعجا ... أخرج من جيبه كنشا متوسط الحجم قرأت على غلافه « كيف تصبح مثقفا في سبعة أيام » شدني الرجل بكثشة إليه ، قررت أن أتابع حركاته %

### == المشهد الثالث :

هم جماعة ممن ينتسبون إلى الثقافة يتحدثون في كل شيء وفي اللأشيء .

– " الصياد والبحر " رواية رائعة .

– فعلا هي رواية عظيمة ولا تتساوى معها إلا " الحرب والسلام " أو " البحث عن

الزمن المفقود " .

– ما أروع أن يجد الإنسان نفسه في فصل من جحيم رامبو .

– الأروع من ذلك أن يفرق نفسه في " عيون إلزا " .

– اليوم قرأت دراسة حاول فيها صاحبها أن يثبت أن الرسام " سلفادور دالي " رسام غير سريري .

قرعت كلمة " سريري " طلبة أذن صاحب الكنش ... فتح كنشه واندفع يقرأ بصوت واضح .

– الوجودية ... دروب الحرية ... الغريب ... الالتزام .. البرناسية ... الدادية ..  
التكبيرية .. الانطباعية .. الرمزية ... الحداثة ... ما بعد الحداثة ... رينوار ...  
أرجون ... لوركا ... الرقص ... لوركا ... تيار موندريست مازوشيت .. رياليسم ..  
فيمينيست .. أوف ... سريري ... ما معنى سريري ... علي البحث عن هذه الكلمة لإضافتها إلى قاموسي .



#### – المشهد الرابع :

ARCHIVE  
http://Archivebeta.saknint.com

– أستاذ خالد . ما معنى سريري ؟

– ما معنى سريري ؟! كلمة مشتقة من كلمة سروال .

لم تقنعه الإجابة .. قصد الأستاذ رمزي ليساله

– أستاذ رمزي . ما معنى كلمة سريري ؟

– المذهب السريري مذهب أصحاب السراويل " الشارليستون " .

لم يقتنع ، ذهب ليسأل الأستاذ فاضل .

– أستاذ فاضل ما معنى كلمة سريري ؟

– ضعها في جملة حتى أستطيع شرحها

– سلفادور دالي غير سريري أو سريري !

– وما شكله دالي هذا ؟

– يقولون أن له شاربين طويلين

– بسيطة يا أخي . سريري كلمة مشتقة من اسم " سلفادور دالي " وهي من نوع اللعب بالحروف .

## الرسائل والحبيبة والحمام

بقلم : جمال الشراي

... وأعود لك مرة أخرى صديقتي الرائعة وصديقة العصافير الجميلة .

أعود لك وقد مضى زمن علي بعيدا عنك .

زمن مضى ولم تدخل رسائلي غرفة نومك ... ولا تعطرت بعطر مكتبك الصغير ولا أضاعها نور غرفتك ليلا عند قراءتها في غفلة من بعض إخوانك أو حتى من أمك التي لا تفهم في الرسائل ولا تهتم بها .

رسائلي غابت عنك طويلا وليس يهمني إن كانت شاققتك أم لا وإن كنت إفتقدتها أم لا . لا يهمني هذا كله ، فقط ما يهمني في كل هذا كيف تعود رسائلي للطيران نحوك تجلدها الأشواق لك وللطفلة الطيبة والقلب الجميل .

صديقتي دائما : إشتقت الكتابة لك بل أنني دائما أكتب لك ولكن رسائلي تبقى لدي سجيئة .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تصوري .. رسائلي .. حمام السلام والحب أمنعها من الطيران لك .

حمام البراري الحرة أمنعها من التحليق في أحداق عينيك فتبيت الليل نائحة وبعدها يخبر هديلها وتنام بلا سجع وتنام في صمت حزين .

حمامي حين كنت أزجلها لك ، كيف كانت تقلع مشحونة بالآف الأشواق وحبل بالحنين لتحط عند عنوانك مرهقة من السفر ومتعبة من عبء الترحال ، وبعدها تدخل المقاصير للحناء والعطر في غرفة امرأة جميلة تخضبها وتمشط شعرها وتعطر أجنتها وتحفظها لديها في الوضع الأثير .

مضت مواسم الهجرة وحمامي راكدة منكوسة فوق أوكارها كائبة لا تحلم بالهجرة ولا بالسفر إلى مدائن الشمال ولا إلى الأبراج العامرة بالحمام والمشيدة من رخام ومن خزف وسيراميك .

مضت مواسم الفرح ورسائلي سهبي قانطة تعد أيام الحبس داخل الرفوف

وتنعي زمن الحبور وتبكي حقول الزرع كانت تطويها في الطريق لك .  
مضى زمن طويل بلا سفر ولا ترحال والآن أطلق سراح الأجنحة المطوقة وألقي  
لها بخيوط السفر فكيف تطير وكيف تغلق من أماكنها وقد عقلت جوانحها وتخشب  
أجنتها ونسبت حتى كيف تطير ؟

فقدت رسائلي لذة السفر منذ أصبحت لا تسافر لك وأضاعت سبل الإقلاع  
وتستعيد الآن ما فات منها وتجدد عهدا مع معانقة الغمام والسحب البعيدة .

رسائلي الآن تطير من امرأة وتحط على زند أخرى ...  
ما أحلى الحماض حين تكون رسائل غزل وما أبهى المدائن حين تكون نساء  
جميلات .

الرسائل الزاجلة كالحمام والنساء المقصودة بالكتابة والزجل كالمدين الجميلة  
والكتابة حين تكون لإمرأة جميلة تكون كالسفر إلى مدينة حاملة أما الانتقال من  
إمرأة إلى أخرى فكان التنقل بين مملكة وأخرى .

وأنا في كتابتي للشعر وللرسائل أجرب في العالم آلاف المدن وأطير في اليوم إلى  
عشرات المدائن والقرى .

أطير من مدينة إلى أخرى وأقلع من أرض وأحط في أخرى وأقضي الليل ما بين  
أسوار مدينة وينبج علي السفر أمام رباطات تلك وتحت أعين حراسها أو في غفلة  
منهم .

في الكتابة للنساء أعيش دائم الترحال يلغظني وجه امرأة فيستقبلني وجه أخرى  
وكالطفل اليتيم أطير من حزن إلى حزن ومن حزن إلى حزن ولكن الحزن الأول  
لا أنساه والنهد الأول لا أنسى طعمه ولا شكله ولا لون حلمته ولا إستدارة قبتيه .

في ترحالي أحترق بشمس الصيف وحرارة أيار وأكتوي بقر أذار وجليده وأتبلل  
بأنواء الليالي السود ولكني لا أنته عن السفر ولا أتوب عن التجوال  
وعدت الليلة مدينتي الحلوة لك .

عدت ... لا غيم يضللني ولا مطر يجيء علي من طرف البلاد !! عدت لا ليل  
سيمعنني بظلمته ولا سوف تردعني البعاد !! أحمل قلبي وشيئا من نفاياتي القديمة  
وأعود للوجه الجميل الذي بايعته يوما على عرش أقلامي وبايعني على عرش الكتابة

. أعود صديقة الأليك الليلة لك فكم إفتقدت وجهك ما بين الوجوه وإفتقدت حضورك ضمن الحضور وغابت مراسيلك عن مراسيلي وعن صندوق بريدي البريء .  
تصوّرني صندوق بريدي بلا رسائلك ... تصوّرني المدينة العتيقة بل فوانيسها وروما دون نوافيرها وغرناطة دون مقاصيرها و بابل دون فراديسها .  
تصوّرني المقهى على الشارع العربي بلا قهوة البن ومراكش لا يعرض سجاد عربي مزركش في مداخل أسواقها .. تصوّرني صندوق بريدي من غير رسائلك كم هجر الدفء أركانه وكم هجرته العصفير ...  
رسائلك حبيبتي .. حمام الدفء التي تاتني محملة حنانا وقذائف شوق إنشطارية وسبائك الذهب التي أحيط بها جيدي حين أطالها ...  
رسائلك ... كنوزك الغالية التي تبعثني بها عبر البريد وبتأشيرة سفر حكومية ويل رقابة من رجال الجمارك ولا حراس الحدود .  
رسائلك ... روائعك .. جمالك المتناثر بين أسطرها وأنوثتها المتدفقة في جداول صفحاتها كيف كانت تفاجئني وكانت تطوى السهوب وتطوي السهول وتأتي بالشوق وبالحنين .  
كم أصبحت أفقدها ضمن المراسيل وضمن طيور الشمال ./.



## مع الإتحاف ..

### في رسالتها النبيلة ،

### رسالة الثقافة والأدب والفكر

### بحرية واستقلالية .

بقلم : عبد السلام لصيلع

أن تحتفل مجلة « الإتحاف » بعشريتها الأولى ، يعني أنها قطعت عشر سنوات من عمر الزمن في مسيرتها وهي تضطلع برسالتها النبيلة ، رسالة الثقافة والأدب والفكر .. ويعني ذلك أيضا أنها نجحت في حمل هذه الأمانة وفي تحمل هذه المسؤولية ...

لذلك نحن نهنيئ أسرة هذه المجلة المفاضلة وعلى رأسها الصديق العزيز والفاضل الأستاذ عبد القادر الهاني المؤسس والمدير ، ونهنيئ كل من كتب في « الإتحاف » كلمة وكل من تصفحها .. وبالتالي نهنيئ أنفسنا جميعا على هذا النجاح ، لأسباب كثيرة ، نبرز أهمها في الآتي :

\* أولا : لقد وجدنا في « الإتحاف » منبرا فكريا حرا ومستقلا رحب بإبداعات وكتابات وآراء ومواقف كل الكتاب والمبدعين .. وهذا مكسب كبير ..

\* ثانيا : والمكسب الثاني هو أن هذه المجلة لا تصدرها مؤسسة حكومية أو حزبية أو مؤسسة رجال أعمال ... هي نتيجة جهود فرد التف حول « فتية أمنوا بربهم » حركتهم الإرادة الصّادقة وحولوا الفكرة والأمل إلى مشروع .. وبالفعل الخلق أنجزوا هذا المشروع الحضاري الذي ترعرع ونما وكبر وأثمر خيرا من أجل الناس وهذا الوطن .. واستقادات الثقافة وريح أهلها ..

\* ثالثا : نجحت مجلة الإتحاف خلال عشر سنوات في فتح صفحاتها أمام الأقسام الراسخة والناشئة وساهمت بإيجابية في دعم التواصل بين الأجيال الأدبية

في تونس والوطن العربي ... فشكرا لها ..

\* رابعا : لم تكن الصعوبات المادية حاجزا أمام صدور « الإتحاف » .. بل كانت حافزا لاستمرار صدورها بإصرار أسرتها وأصدقائها والمتعاطفين معها .  
وهذا الإصرار يجب أن يقوى ليشحذ الهمم ويدفع العزائم الصادقة على الوقوف دائما بثبات لإسناد « الإتحاف » وتطويرها وتوسيع حجم توزيعها .

\* خامسا : ويعرف الجميع أن سرّ بقاء « الإتحاف » وفرض وجودها إلزامها بحرية التعبير والنشر وتمسكها باستقلالية الفكر ... وهذه الحرية مقدسة ... وهذه الإستقلالية لا نقاش حولها ولا مزايدة ولا مساومة ولا تنازل عنها .. وبالتالي هي حرية مسؤولة .. وهي استقلالية واعية ...

وأجدني في هذه المناسبة السعيدة أدعو كل المثقفين والمبدعين في بلادنا إلى الزيادة في دعم « الإتحاف » ومناصرتها حتى نحتفل بعشريتها القادمة وعشرياتها المقبلة إن شاء الله تعالى ...

أما عن كيفية تطوير المجلة وإثراء مضمونها ، فهذا يتطلب نوبة خاصة بحضور المشاركين في الإحتفال بعشريتها الأولى ليخرجوا الخطة عملية تطويرية مستقبلية تدخل بها العشرية الثانية ...

إن العمل العظيم الذي تقوم به « الإتحاف » في خدمة الثقافة والفكر والأدب في تونس والوطن العربي مصدر إعجاب وإعتراف سوف تعكف على دراسته باهتمام الأجيال القادمة . وقد دخل التاريخ من بابه الواسع .. وهو عمل لا يمكن أن يتوقف مهما كانت الظروف والإحباطات ..

فلتستمر رسالة « الإتحاف » في نهجها النظيف والبعيد عن الشبهات .. في صمت وهناء .. بلا شعارات .. ولون ضجيج ...

... وإنّا إذ نكدم على الغيلام بهذا العمل الذي لا نهال إن قلنا إنه مناصرة فلاننا نلجأ منه تطبيق جملة من الأغراض الثقافية منها : الأخذ بأيدي الأدباء الشبان وإفاحة الفرصة لهم كي يعارسوا نخب محاولاتهم وهي مقدمات ضرورية كي تنضج تجاربهم وتكتمل ميولاتهم وتقبلور كفاءاتهم.

مجلة الإتحاف العدد الأول

جويلية 1985



## « في البدء كان الفعل » \*

بقلم : مجيد الناري

« الجميل الذي تُسديه النجوم هو أن تدعونا إلى الكلام ، أن تبرهن لنا أننا لسنا وحيدين . وعلى أن للفجر سقفا ولناري يدين »  
كلام من أرخبيل  
« رينه شار »

وإذ نأتي الكلام متأخرين ... لأنه يحدث أن نأتي عند خريف الحكاية تجد أن الجميل الذي تسديه الإتحاف أن نحلم بالربيع أن نحلم بكتابة نصّ مطلق يقف بين السماء والأرض ... طالما أرقته الليالي ... نصّ يسند نفسه بنفسه ... نصّ كالقلب ... كالبحر ... كامتداد الطريق ... والأسئلة دائما موجهة ... أسئلة عن العدم والفراغ ... وعن الوجود والزمن ... « وبضعة أسئلة عن الزمن تجعلنا نقول نقول كم هو مضجر هذا السؤال ! » على حد عبارة « برتراند رسل » ....

لقد أسدى ابن أبي الضياف لسليانة الأثر فاقتفت العنوان وأسدت إلينا الإتحاف الحفيدة بياضها وصفاءها وطهرها فرسمنا الوشم ... ووشينا ذلك الجبين الآخر بزهرات العمر قبل أن يذهل الزمن عنا ... وكبرنا وطفلتنا يافعة يانعة عشر سنوات من المعاندة ... والمداومة ... عشر سنوات والقدر العاتي يسكن الإتحاف ... فيكون الفعل أولا والفعل ثانيا وإلى المنتهى . عشر سنوات والطفلة تفجؤنا يوما بعد يوم ببيائها وضيائها فتولد مع الفجر وتسكننا ليلا ... لتعلا

هواجسنا ... ومكاننا وزماننا ... وماذا يمكن أن تضيف طفلة يافعة إلى دروب الشمس إلى شقيقاتها وقد سحرن بعد كتابا مشهورين وسجرنهم وشجرنهم ؟  
... ماذا يمكن أن تضيف مجلة جهوية شابة إلى المغرمين بكتابة أسمائهم بماء الذهب على أسوار الكعبة ؟ !! فإذا كان سوق عكاظ تناظروا وتنافسوا ... وتعال



الأصوات ... المشهورين يحلمون بقطف الشمس الأصيل ... هل تسكن صراخات المبدعين ؟ هل يكون صراع الشرق والغرب ملجأنا الوحيد ؟ ...  
أي طفلاتي ... عشر سنوات كانت كافية لتثبتي العكس فأية كعبة يقصدون وأنت مزارهم ومحجهم ... صغاراً كنا ... ولكننا بين أحضانك كبرنا ونما الشوق ... وتلاقت القلوب الموجعة بهموم الأسئلة ويتباريح السفر ... ورغم غربتنا ... تعلمنا في ملتقياتك أن نبحر في عيون أحباب لنا عرفناهم إسماً فإذا هم في رحاب خصبك يسمون للربيع ... « وغدا سيقبل الربيع » (2) وتمتد الأيدي ونعزف « نشيد الفرح » (2) .

### (1) الإتحاف : واقع رؤى :

بين الماضي والحاضر يختفي سرٌ من أسرار « الإتحاف » ونتساءل في لحظة الاندهاش عن ذلك المختفي وعن تلك الفكرة في مكتب ضيقٍ تتحوّل إلى رهان كبير وإلى اكتشاف عظيم ... ثم تأتي القطرات الكلمات ويمتلئ الحلم ... أعداد قليلة تنشر هنا وهناك كالسرّ تماماً كالمحظور ... كأكسير الحياة ... وترفعها الأيدي في وجل ... وتوضع في رفوف أكلها النسيان ... ولا يكتب لهذه الوليدة أن ترى كامل تراب الوطن ... خوفاً عليها من التجلّي ... خوفاً عليها من طيقات المعرفة فهل يجوز للمغامرة أن تتكاثر وهي مغامرة مختلصة ؟ !! هل يجوز للإتحاف أن تغور حقيقة ورسمها ؟ !! وتغرينا ترنّحات الكلام وتواجه الوليدة الأعاصير في عصر متسارع رهيب كاد أن يقضي فينا على عادة المطالعة ولكنه ما استطاع أن يلغي من هواجسنا لذة الكتابة والكتاب ...

وتحافظ الإتحاف على توازنها وتعادلها فهي تحمل سرّ مبدعيها ورجالٍ صدقوا العهد والوعد ... فهامي دروب الإسم تنمّث فينا بعيداً عن الجرح ربّما بل هي مسارات الإتحاف تشارك في تغليب الرغبة وتبديد التوجّس وتركيب حياة لها من مباحٍ الحياة ...

وتمضي الإتحاف سنة بعد سنة قطرة قطرة كلمة كلمة وتزداد أعدادها وتزدان أعيادها وتنبّجس من المبدعين الصغار الأحلام الكبيرة وتحلّق الإتحاف هذه المرّة بجدارة في سماء الوطن وربّما في أماكن أخرى من المعمورة وقد حملها صديقي

محسن الكريفي إلى عُمان وجعلها شوقه وحنينه الأبدي إلى وطن يكتب دائماً بحروف من ذهب ويقتبل الربيع رغم مواويل الجذب أحياناً ...

واختارت الإتحاف لها في عهدنا في عهدنا الجديد أن تتجلى في حلّة بهيئة بأركان قارئة ومواضيع تناسب اختلاف المشارب والميولات وتطارد الإبداعات ولا تضنّ بها على أحد ... لأنّه >> من سنل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار <<

فحاضر الإتحاف مليء نظاماً وهندسة وإبداعاً الحياة ... وترفعها الأيدي في وجل ... وتوضع في رفوف أكلها النسيان ... ولا يكتب لهذه الوليدة أن ترى كامل تراب الوطن ... خوفاً عليها من التجلي ... خوفاً عليها من طبقات المعرفة فهل يجوز للمغامرة أن تتكاثر وهي مغامرة مختلطة ؟ !! هل يجوز للإتحاف أن أن تغفو حقيقة ورسماً ؟ !! وتفرينا ترنّحات الكلام وتواجه الوليدة الأعاصير في عصر متسارع رهيب كاد أن يقضي فينا على عادة المطالعة ولكنّه ما استطاع أن يلغي من هواجسنا لذة الكتابة والكتاب ...

وهكذا تتوالى الأشكال الكبرى في الإتحاف وتتلاحق مغامرة الطهارة ... ثم هؤلاء المبدعين من أين يجيئون ؟ كيف يولدون كيف يجعل بهم التاريخ ويتمخض عنهم بعد عسر عسير ؟ هل يتحوّل مبدعو الإتحاف يوماً ما علامات بارزة أو نجومًا تتلألأ في سماء وجودنا ؟

(2) الإتحاف : حبيبتي ذاك ثناء وأنت جديرة بكلّ ثناء وهذا عتاب . وما أحلى عتاب العاشقين !

يقول الخطيبي (4) : دعني إذن أقول ما يلي :

الكتابة أرهاق ساحر ليقين السماء [ لليقين فينا ]

الكتابة ، حرص مكثف على ابتهاج الغياب .

الكتابة فُكْرنة للدم لايقونته . >>

ودعيني طفليتي " الإتحاف " في عيد ميلادك العاشر أعود إلى صفحاتك وبالمعنى نفسه المبحوث عنه في سفر السُفر في جولة مباحثة سريعة في متن هو في الحقيقة دائماً الجواز لنا ، جواز تمتحن من خلاله جدران البيت ونوافذه ربّما تحتاجين -

ولا أدعي القدرة دائما على الاستفادة واستشراف لحظات المستقبل - إلى لحظات نقد من محب شفيق ودعيني ألخص الكلام على الكلام فيما يأتي :

#### - أ- على مستوى الشكل :

لا شك في أن مجلة الإتحاف قطعت شوطا كبيرا في سبيل طرق إخراجها فمن حرص على التبويب وعلى الإعلان مسبقا عن محاور الأعداد القادمة مع احترام الخط العربي وذلك باعتماد الكتابة الالكترونية مع حسن التفريق بين الشواهد والسير العادي للبحث وإلى غير ذلك من المحاسن التي لا تنكر لكن تحتاج الإتحاف لمزيد التألق إلى :

- (1) اختيار نموذج [ 4i ، A4 ] مثلا مساحة لطبع محتوياتها على أن يواكب اختيار هذا الشكل توسيعا لمدى الحروف عند الرقن الالكتروني ، ولعل هذا التوجه تعتمده أهم المجلات [ الحياة الثقافية - فصول - كتابات معاصرة - الفكر العربي - العرب والفكر العالمي ( بدرجة أقل ) ... ] وهو اختيار يعمق - حسب اعتقادي - من قيمة تلك المعلومات التي يحتويها جسم الإتحاف النحيف ويجعله أكثر سطوعا وجلاء ، ويبقى دائما أم الإخراج لأسرة التحرير لأنها أعلم التكاليف وطبيعة العمل لكنني أحببت أن تكبر مجلتي شكلا ومحتوى
- (2) أن تعتمد المجلة محاور يعلن عليها مسبقا ويترك المجال واسعا لتخصصات متنوعة ويصدر المحور مع تقديم مناسب وخاتمة وظيفية كلما توفر بنك البحوث والدراسات على العدد المطلوب كماً وكيفا ، دون أن يلغي ذلك ركن الإبداعات .
- (3) أن تختار أسرة التحرير - كلما سمحت المناسبة بذلك من عيون الكلام والمقالات ( شعرا كانت أم نثراً ) لكتّاب تشهد لهم الساحة بالتميز والغاذة - نماذج من شعرنا العربي أو من النثر تتوج بها مساحة الإتحاف وربما من الأدب العالمي المترجم ... ذلك أنه لا حدود بين مواطن الإبداع .

- (4) أن تتعامل المجلة مع مبدعيها على أساس الرسم واللقب " الحاف " دون تجاوز ذلك إلى ذكر الدرجات العلمية ( الأستاذ ، الدكتور ... ) لأن القيمة حسب رأيي تكمن في العملية الإبداعية وفي طرح كل الزوائد ونحن في حرم أسرتنا الكريمة " الإتحاف " وكم من عصامي تزدحم المكتبات بكتبه القيمة ... نحتاج اليوم التعامل

بامضائنا الإجتماعية ...

(4) أن تتعامل المجلة مع مبدعيها على أساس الإسم واللقب " الحاف " دون تجاوز ذلك إلى ذكر الدرجات العلمية ( الأستاذ ، الدكتور ... ) لأنّ القيمة حسب رأيي تكن في العملية الإبداعية وفي طرح كلّ الزوائد ونحن في حرم أسرتنا الكريمة " الإتحاف " وكم من عصامي تزدهم المكتبات بكتبه القيّمة ... نحتاج اليوم التعامل بامضائنا الإجتماعية ...

(5) أن تختار المجلة اللون الموحد لغلافها الخارجي وإن يكن التنوع محبوباً فإنّ الثبات على لون واحد يجعل القارئ يميّز بكامل اليسر مجلّته بين حشود من الدوريات الأخرى المعروضة ... ولكم في المجلّات الأخرى خير دليل ... ويكفي أن صورة الغلاف : تلك الرسوم البديعة تتغيّر باستمرار .

(6) توسيع مدى العنوان وجعله يتوسّط مساحة الغلاف ولا يهم أن يكون التوسّط توسّط أعلى الغلاف أو وسطه أو أدناه .

(7) إحداث ركن قراءات ومتابعات يهتمّ بتقديم أهمّ الآثار الأدبية والعلمية ومتابعة الإصدارات الجديدة وتطوّر مدارس النقد الحديثة حتّى يجد قارئ الإتحاف تخوماً ابداعية أكاديمية رائدة ... أو أن تتجاوز المجلة مع بعض ضيوف تونس أو غيرهم إذا سمحت الفرصة لبعض المبدعين للقاء هؤلاء مثل : انطباعات عبد السلام لصيلع عن زيارته إلى الكويت وما وجده عند الشاعرة سعاد الصباح من دلالات فنية رائدة ... نون نسيان أعلام تونس ومبدعيها ...

(8) التوثيق لتراث الجهة وذلك بنشر بحوث تاريخية واجتماعية عن الشمال الغربي

ب- على مستوى المضمون :

ربّما يكون المضمون حاضرا في الملاحظات الشكلية لكنّه حضور فرضته وجوه الالتقاء بين المبنى والمعنى عموما ولكنّ ذلك لا يلغي الحديث عن بعض الملاحظات المضمونية :

(1) إحداث لجنة من أسرة التحرير تهتمّ بمراجعة الأخطاء اللغوية والعلمية التي قد تتسرّب إلى النص بعد رقبته ... وإن تطوّرت عملية المراجعة فإنّها ستسمح بقدر كبير من عملية المجلة ... ولي شواهد كثيرة من تلك الأخطاء التي تفسد المعنى

المقصود وتزلّ بالقارئ في متاهات سوء التأويل ... وأذكر أنّي طالعت مقالا للأستاذ الأزهر النفطي (5) ويبدو وأنه تسرّب خطأ كبير عند الرقن الالكتروني فَعُرِفَ " العقل الصنيع " عند ابن المقفع " بالعقل الذاتي " والعكس صحيح . يقول المقال بعد الخطأ : " العقل الصنيع : هو تلك الملكة الموجودة في وضع الخفاء " ... وهذا في الحقيقة تعريف العقل الذاتي .

ويقول العقل الذاتي : هو " عقل يتجاوز مرحلة الخفاء : وهذا تعريف العقل الصنيع

...

وأعلم جيّدا أنّ هذا الخطأ خارج عن نطاق أستاذنا الجليل وهو عليم أكثر منّا بهذه الأمور ... ونحن نتكر أن يخلد على أستاذنا هذا الخطأ ... ونرجو أن يقع التصحيح ... هذا مثل واحد والمجال لا يتسع لذلك .. ولو شئت لاستعرضت أمثلة كثيرة من هذه الأخطاء اللغوية أو المطبعية أو العلمية فأرجو أن تكون السنة الحادية عشر الإقلاع الكبير ... وربما - وقد يكون ذلك صحيحا - ما يصل إلى مجلّة الإتحاف من كتابات يرد في خطأ غير واضح .. فلنكن الدعوة إلى ضرورة توضيح الخطأ ولم لا رفته مسبقا ؟؟

(2) تخصيص أعداد كاملة من مجلّة الإتحاف لموضوعات البكالوريا مثلا :

- عدد خاصّ بالمسعودي أو المعري ...
- عدد خاصّ بالفلسفة ...
- عدد خاصّ بالتاريخ والجغرافيا ...
- عدد خاصّ بمنهجية المواد ...
- ويعلن عن ذلك مسبقا .

وإن يتيسّر ذلك دون إحداث بنك البحوث والدراسات الذي أعلنت عنه مسبقا ...

فتكون المساهمة كبيرة وذات فائدة لا تتكر ... دون تجاوز ركن الإبداعات .

(3) ينبغي أن تتجاوز المجلّة السكوت على بعض المحاولات ونشرها رغم ما تحتوي عليه من هانات وضعف والأمثلة تؤكد كذلك أن كثير من المنشور تحت تسمية شعر أو شعر حرّ لا ينسجم أصلا مع طبيعة الشعر أو حتّى النظم .... ضعف في الصورة ، غياب مطلق للإيقاع .... تداخل في البنية ... ولعلّ الشعراء من أسرة

المجلة مدركين لذلك ... والشعر باب لا يطرقه إلا أوتي موهبة الشعر . فقد كان  
هوراس « ناقدًا من أكبر نقّاد الشعر ولكنّه لا يقول الشعر فسأله مرّة تلاميذه :  
لماذا لا تقول الشعر وأنت أعلم حتى من الشعراء بسرّ صناعته » فأجاب : « أنا  
كالمسنّ ( المبرد ) أشحذ ولا أقطع . » وقال الفراهيدي واضع علم العروض : «  
ياباني جيّد وآبى على نفسي رديّه ... » فلتكن مقاييس النشر أكثر صرامة ...  
(4) الحرص على أن يكون المقال المنشور داخل نفس العدد موزّعاً على صفحات  
متتابة دون اللجوء إلى البقية بالصفحة كذا وإذا البقية بعض الأسطر وتأتي في  
نهاية مقال آخر له مضمون مغاير فبإمّا أن تتولّى أسرة المجلة إختزال المقال أو  
المبحث المنشور أو نشره بصفة متتابة ... لأن ذلك التقسيم لا يناسب مجلة في  
سمعة الإتحاف وهو إلى طبيعة الصحافة أقرب

\*\*\* ذاك عتاب وحبّ لا يدعي أنّه نفذ من خلالها إلى عمق تجربة الإتحاف فبان  
دراسة المجلة حاضراً ومستقبلاً يحتاج مبحثاً أكاديمياً دقيق العبارة بعيد الدلالة ...  
ولكنّها ملاحظات لا أدري مدى موافقتها لأسرة  
التحرير ولطبيعة المرحلة الحاسمة التي تمرّ بها الإتحاف وهي تواجه في عناد  
ظاهر وشجاعة نادرة العراقيل والصعوبات في عهد انصراف فيه الكثيرون من أبناء  
هذا العصر عن المطالعة ورغبوا عن الكتاب إلا من رحم ربك فأخذوا الكتاب بقوة  
... وكما قال المعريّ دفاعاً عن شعر المتنبي : « ولا ملامة عليه إنّما هي عادة  
صارت كطبع فما حسن بها مألوف الرّبع . ولكنّها تغتفر مع المحاسن والتسام قد  
يظهر على المراسن . » (6) .

نعم إنّ محاسنك تغفر لك بعض ما رأته عين ناقد " محبّ من النقائص ... ولو  
لا حرصني الكبير على أن تكوني أجمل وأبهى ما ذكرت لك ذلك طفولتي الصغيرة  
الحبيبة ....

ولكنّه الحنين الراقص ، الحنين إلى رائحة الصورة والصوت معا ، الحنين إلى "   
غيرية " يكون للإتحاف فيها شيء من صرخة الولادة الجديدة ، شيء من عرس  
الإستحقاق ... وهو حنين أت من الانفجارات الجديدة بالعمق الجديد آتية من زمن  
لا ريب فيه زمن ما بعد الطفولة تكون فيه الإتحاف حقيقة تسكنها باستمرار ونخلق

منها ولها دورة جديدة للكينونة لأنها ستكون حتما تعبيراً جديداً عن الولادة عن الحياة لأن بلانشو قال لنا مرة :  
« الحياة بلا حياة كالموت بلا موت :  
تعيدنا الكتابة إلى مثل هذه القضايا . »

#### الهوامش:

- \* الكتاب المقدس - العهد الجديد : انجيل يوحنا الاصحاح الأول - آية أولى ص 145 وفي الترجمة المتداولة « في البدء كانت الكلمة » .
- (1) « غدا سيقبل الربيع » عنوان المجموعة الشعرية الأخيرة لخالد زغبية .
  - (2) عنوان أشهر سنغفونيات بيتروفن : ( السنغفونية السابعة )
  - (3) حديث شريف . وله أيضا صلوات الله وسلامه عليه : « ما زال الإنسان متعلماً فإن ظنَّ أنَّه علم فقد جهل »
  - (4) عبد الكبير الخطيبي « دفتر ذاكرة من أجل النساء » ص 99 مجلة مواقف العدد 53 شتاء 1988 لندن ترجمة أميمة الكاظمي ...
  - (5) الإتحاف السنة التاسعة العدد 49 ماي 1994 ص 56
  - (6) المعري - رسالة الفران تحقيق بكت الشاطلي دار المعارف ط 7 ( 1977 ) ص 44 ...